مبادرة

القراءة بالمجان

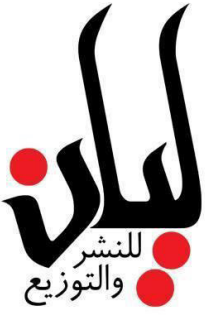

الكتاب: أربعة حروف
الكاتب: سمية سعد دويدار
رقم الإيداع: 19401/ 2018
ISBN: 978-977-800-0207
تصوير الغلاف: الفنان عصام الصابري
تصميم الغلاف:محمد عبد القوي مصيلحي
تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:
www.sekoon.com

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحـبه للمساءلة القانونية.

سمية سعد دويدار

أربعة حروف

رواية

لبنان
للنشر
والتوزيع

إهداء

إليكن بطلات الحياة المكافحات المعتكفات على أولادكن.. كتبت أشارككن المُصاب الجلل.

إليكم أيها الأبطال الصغار.. أُدرك فداحة خسارتكم ومدى الجُرم في حقكم، وأتمني أن يكون ما مررتم به علَّمكم وأصقلكم.

إليكم أكتب وسأظل أكتب، حتى يستقيم الحال على قدر المستطاع.

سمية سعد دويدار

واعتليتُ حُطامي.. وكالبدرِ أنرتُ الليالي

أنفاسُنا ولحظاتُنا تتشابك معًا وتتضافر بقوة، لتفاجئنا بأعوامٍ وعقودٍ منقوصة من أعمارِنا تذهب بلا عودة. فلنحافظ على خفقات قلوبنا، وعلى ذرَّات الهواء المتبقية لنا في هذه الحياة.. ونستمتع بأقدارِنا بهدوء.

حادث

يشق عويلُه عنان السماء يمزِّق نياط القلوب ويمتزج بالرعد ليشكل سيمفونيةً مرعبةً تزلزل الوجدان. صراخُه مع زخَّات المطر يدمي القلب من شدة ألمه وذعره.

لم تكن بداية هذا اليوم تشي بتلك اللحظات المُرَّة بالمَرَّة..

تتأمل جمال مدينتها الساحلية الساحر في فصل الشتاء، بجوها الشتوي الغائم ونسمات الهواء البارد التي منعها زجاج السيارة المغلق من النفاذ إليها، مع انقشاع الضباب المحيط بها أثناء صعود الشمس إلى كبد السماء رويدًا رويدًا على استحياء، لتشق قلب السحاب الكثيف الذي ينذر بهطول قريب للمطر.

توقَفَت حور بالسيارة على جانب الطريق السريع، لتتمتع بجمال وهدوء الطبيعة قبل وصولها لمدرسة ولديها لإلقاء محاضرة عن أساليب تربية الأطفال.. دراستها وشغفها.

تبدأ بالتحرك لتصل في موعدها وهي تغمغم لنفسها "الله على جمالك يا إسكندرية".

تسير بسرعة معتدلة على الطريق الرئيسي، فالتوقيت المبكر يجعل الطريق هادئًا نسبيًا عن باقي أوقات اليوم. تسبقها مباشرة بمسافة قصيرة سيارة نقل عملاقة مكونة من مقطورتين، معتدلة السرعة أيضًا.

فجأة تتوقف سيارة النقل أمامها دون سابق إنذار أو سبب واضح، وكرد فِعل سريع للغاية تتوقف حور بسيارتها قبل أن تصطدم بها وهي تهتف بحنقٍ بالغ: "في إيه؟ ما له دا؟"، بينما يتعالى صراخ هستيري لعدد من العمال على جانب الطريق موجَّه لسائق النقل الضخمة: "اطلع قدام يا اسطى.. اطلع قداااام".

صخبٌ وعويلٌ يتصاعد بسرعة جنونية دون إعطائها أية فرصة للفهم، ريثما تتضح لها الصورة ببطء شديد، كأنها تشاهد فيلمًا بطريقة عرض بطيئة للغاية، ويأبى عقلها أن يفهم ما يراه أمامه أو يفسره. تنتابها حالة عصبية هستيرية متشنجة، وهي متجمدة مصعوقة من قسوة وبشاعة المنظر أمامها. وترديد الناس حولها "إنا لله وإنا إليه راجعون" و"لا حول ولا قوة إلا بالله" يؤكد فهمها وترجمتها الصحيحة للموقف الكارثي أمامها وما تراه.

تحاول التنفس بهدوء والتقاط الهواء بصعوبة، فتتحشرج الكلمات في حلقها وتفقد النطق للحظات، مع نزول السائق ونظرته للشيء المهلهل تحت عجلات مقطورته وهو يضرب وجهه بيديه ويمسك

رأسه بقوة، كأنه يحاول أن يثبِّت عقله بمكانه وهو يدور كالمجذوب بهدوء شديد حول نفسه، واضعًا يديه فوق رأسه. هدوء لا يتناسب مطلقًا مع الموقف كأنه في حالة تنويم مغناطيسي من هول الموقف الماثل أمامه وبشاعته، وما سحقه بنفسه سحقًا تحت عجلاته.

رويدًا رويدًا يبدأ العويل الهستيري للسائق في التصاعد بحالة انهيار عنيف، وهرولة المارة نحوه وتغطية المُسجَّى على الأرض.

تكاد تجن، ماذا حدث؟ يصم أذنيها صراخ الناس "قتل ابنه.. قتل ابنه". يردد قلبها "لا إله إلا الله" وهي تحاول الرجوع بسيارتها للخلف فتصطدم بالسيارة خلفها وتنحرف عن المسار، فتتوقف وتترجل من السيارة وهي تترنح كطفلٍ حديث العهد بالمشي، بينما يهدر صوت السائق المكلوم بصوتٍ ممزقٍ كمحرك طائره تهم بالإقلاع، ويمتزج بالرعد كما يمتزج المطر البارد بدم ابنه الدافئ المتدفق على الطريق.

بسرعة يتصل المارة بالإسعاف والشرطة، وتتحول الإسكندرية الجميلة إلى الإسكندرية الباكية التي تنعي الابن الصغير وأباه المصعوق بفعلته الشنعاء دون قصدٍ منه.

حالة من الهرج والمرج تسود قاعة الاستقبال في المدرسة، وتبدأ تفسيرات الحادث في الوضوح وهي مرتمية على الكرسي يسيطر

عليها الذهول والتشويش؛ السيارة ضخمة ذات سقف مرتفع، الابن يغطُّ في النوم على سقف المقطورة الأولى، وهناك لافتة معلقة على ارتفاع منخفض تعترض الطريق مشدودة بقوة بعرض الطريق بأكمله، وعند مرور السيارة أسفلها قامت اللافتة بدفع الابن النائم قبل تحكمه في توازنه وتفاديه لها، لتسقطه بين المقطورتين لتلتهمه العجلات في ثوانٍ دون توانٍ.

مع وصول الإسعاف والشرطة كان صوت الأب قد أُنهك تمامًا؛ بالكاد يُسمع نُواحه، يحمل كل آلام الدنيا بين طياته، وكلما حاول المحيطون به أن يعطوه قليلًا من الماء أو مساعدته على الجلوس يسقط بين أيديهم. الوضع مأساوي ينذر بانهيار عصبي حاد بين لحظة وأخرى مع مرور الوقت، واستيعاب عقله الكارثة الفجائية التي حلَت به وجريمته التي ارتكبها دون ناقة له فيها ولا جمل.

تركت حور وراءها جسدًا مبعثرًا كان ينبض بالحياة منذ أقل من دقائق، وحسرة أب لن تزول أبدًا، بل ستتفاقم مع الوقت للأسف الشديد لوالد قتل فِلذة كبده بيده، بلا تعمد ولا ذنب أو جريرة.. سيُصبح ويُمسي يحاسب نفسه ويحاسبه المجتمع كله على فعلته الشنعاء.

***

أطلقت حور بوق السيارة أمام بوابة المستشفى الحكومي للأمراض النفسية والعقلية الذي تعمل به وهي تغلق أغنية "كان وكان" للمطرب محمد حماقي، والتي تحبها وتسمعها دومًا، مع فتح المسئول عن الأمن البوابة الرئيسية وهو يهتف "صباح الخير يا دكتورة، أخيرًا بعد أسبوع كامل رجعتي تيجي بالعربية بعد الحادثة اللي شفتيها وعقدتك من السواقة".

ضحكت وهي ترد عليه: "صباح النور يا علي، لسه فاضل ١١ شهر على مناقشة الماجستير وبعد كدا قول لي يا دكتورة براحتك، وغصب عني رجعت تاني آجي بيها، هعمل إيه بقى؟ مضطرة.. الأمر لله".

دلفت إلى المستشفى.. عندما استلمت العمل كان المبنى يسبب لها حالة من الاكتئاب بنوافذه الحديدية الشبيهة بنوافذ السجن، وجدرانه وأسواره العالية وحوائطه التي لم يتم تجديدها أو طلاؤها منذ سنوات طويلة، وأصوات الهمهمات المنبعثة من غرف المرضى، كل قسمٍ حسب ما يحتويه من بشر، مختلفين في حالاتهم المرضية متفقين في خروجهم عن نطاق الزمان والمكان ورفض الواقع والألم، وحُلم أُسَرِهم بعودتهم مرة أخرى لحياتهم، ولو حتى شبه طبيعيين.

الآن تأقلمت على الوضع عامة، ولكن ما يسبب لها الألم هو الحالات الحرجة التي تشاهدها في المكان والقصص الغريبة التي

تسمعها كل يوم. تتمنى لو استطاعت أن تساعد كل من يعاني، وأن يكون لها دور في عودته لرشده وصوابه. تحاول ذلك بكل ما أوتيت من قوة، فتقرأ وتدرس وتبحث، وقررت أن تكون رسالة الماجستير مخصصة عن تجاوز الصدمات وما بعدها والعودة مرة أخرى إلى معترك الحياة أقوى من قبل الصدمة، تؤمن جدًا بهذه المقولة خاصة بعد تجربتها الشخصية وإدراكها أهمية المساعدة الحقيقية النابعة من القلب في تخطي الأزمات.

اتجهت إلى غرفة الأخصائيين النفسيين التي تحوي مكتبها، دخلت بهدوء وطلبت النسكافيه الذي تبدأ به عملها من عم عبده، وبدأت في تحضير أوراقها للكتابة في رسالتها. في خلال هذا الأسبوع يجب عليها اختيار الحالة الأخيرة في الخمس حالات المقررة للمناقشة التي سوف تعرضها وتقوم بعلاجها في الماجستير. ولم تكن استقرت بعد على اختيار آخر حالة، لم يكن الاختيار سهلًا وقررت أن تؤجل الاختيار لنهاية الأسبوع.

"اتفضلي النسكافيه يا دكتورة"

تناولت الكوب: "تسلم إيدك يا فنان.. ريحة القهوة سابقاك، فعلًا كل إنسان لو عمل اللي عليه في شغله بكل ضمير وحب هيبقي مبدع، وانت مبدع يا عم عبده، أحلى نسكافيه بشربه من إيدك. هاااا قول لي.. رسمت لي عليه إيه النهارده؟"

"رسمت لك بسمة من البسمات الحلوة بتوعك، اللي بتوزعيها علينا دايمًا"

فَرِحَت وهي تتناول منه الكوب وتحدِّث نفسها "آآآه لو تعرف يا عم عبده الوجع اللي شايلاه معايا في كل مكان، لو تعرف تعبت قد إيه ومكنتش حتى عارفة أضحك لنفسي، وسبحان اللي قدرني وقوّاني وحمى عقلي من الزلل والتوهان بجد، بس محدش له ذنب في إني أتعامل معاه باللي حساه".

بدأت في تنظيم أفكارها وتحديد ما ستقوم به اليوم وهي تستمتع بمشروبها الساخن وقطعة الشيكولاتة الداكنة، وتأثيرهما السحري عليها في إزالة توترها وشحنها بالسعادة. كانت تنجز عملها وتتمنى أن يمر اليوم بسرعة ليأتي الغد بما يحمله من ذكرى مميزة في علاقتها بصديقة عمرها وتوأم روحها شهد. غدًا الاحتفال السنوي بمرور عشرين عامًا على بداية صداقتهما وأخوّتهما، بقرائتهما الفاتحة في قاعة المحاضرات في الجامعة في أول عام دراسي لهما في نفس القسم، فاتحة لكل خير، فاتحة للإخلاص والوفاء والتفاني في الحب والود. لا بُدَّ أن يكون اليوم مميزًا للغاية، كتميز العشرين عامًا الماضية في حياتهما. أكثر من نصف عمرهما قضتاه متلازمتين، حتى لو مرت أوقات لم يتقابلا فيها كثيرًا، لكن الرابط بينهما كان خفيًّا وقويًّا في كل وقت.

قَـارَب العمـل عـلى الانتهـاء مـع ارتفـاع رنـين هاتفهـا، إنهـا أختهـا الحبيبـة سـما..

"حبيبتـي يـا حـور يسـعد أوقاتـك، خلصتـي شـغل؟ أنـا في الطريـق عشـان نتقابـل ونشـتري هديـة شـهد"

بابتسـامة رضـا تـرد حـور: "أنـا مسـتنياكِ". سـما أختهـا الصغـرى، هناؤهـا وحبيبتهـا ومسـاعِدتها في الحيـاة، وقفـت معهـا في جميـع أوقاتهـا الصعبـة، وشـدت مـن أزرهـا في مأسـاتها، وكانـت لهـا الأخـت والصديقـة وكاتمـة الأسرار، في آخـر خمـس سـنوات عجـاف مـن عمرهـا. مـن اهتمـت بيحيـى ويزيـد في وقـت لم تكـن تحـس فيـه بـأي شيء في الحيـاة، الحيـاة ذاتهـا لم تكـن تعنـي لهـا أي معنـى. الزلـزال الـذي مـر بحياتهـا ودمرهـا بتوابعـه أتـى عـلى جوهـر ذاتهـا وأصـل وجودهـا ومنبـع كيانهـا، قتـل أسـاس ثقتهـا بالبـشر وأخلاقهـم ومبادئهـم، فـترة مميتـة طويلـة، إلى أن مَـنَّ الله عليهـا بالعافيـة وأخـذ بيدهـا. كانـت تعلـم أنهـا مـا دامـت تقربـت وتذللـت لله فلـن يتركهـا، طالمـا ناجتـه "يـاااا رب، كـنُ معـي وعَضُـدي وسـاعِدي ووكيـلي، اجعلنـي في معيتـك أنـا وأولادي"، تعلـم أن مـن تقـرَّب إلى الله شـبرًا تقـرَّب الله إليـه ذراعًـا، وتـدرك أن تمسـكها بـالله هـو الطريـق، هـو مـن دبـر لهـا الأمـر، وربـط عـلى قلبهـا لتجـاوز المحنـة.

بالإضافـة إلى مواجهتهـا محنتهـا بإقـدام وشـجاعة، والاعـتراف بهـا

علانية وطلب علاجها وعدم هروبها وإنكارها ما تمر به، فالِكبر والخداع هما المسيطران علينا في هذه الأوقات العصيبة حتى أمام أنفسنا ومرآتنا قبل الآخرين، فيعز علينا الإقرار بالهزيمة أو الانكسار، نموت بداخلنا الآف المرات ونُظهر العكس تمامًا، رغم أننا لو تقبلنا الألم وصادقناه لأخذ وقته ومضى هو الآخر كما يمضي بنا كل شيء.

"كفاايـة"، نطقتها بهمس مسموع، تعلمت أن تتحكم في أفكارها وتوجهها حيث تحب فلا تنزلق فيما لا تريد. هي القائد للأفكار والمشاعر، لن تنجرف معها حيث الذكريات المبهجة السعيدة ولا الذكريات الحزينة المميتة، هي هنا الآن، فلتظل هنا محافظة على هدوئها وسلامها النفسي.

في نفس اللحظة سمعت أصواتًا كثيرة خارج مكتبها تزامنت مع خروجها من المكتب لتفاجأ بالأب المكلوم سائق المقطورة يُجرّ جَرًّا ليدخل لمدير المستشفى، كأنما يُساق لنهايته. تتبعه زوجة ريفية بسيطة تتشح بالسواد وطفل لا يتعدى السابعة من عمره يتشبث بملابسها وهي تحث الخطى مع جمع غفير من أقربائها، تطلب علاجًا لزوجها في المستشفى بعد صمته التام وفقده النطق والتواصل مع من حوله، وعدم رغبته في الحياة ورفض الطعام والدواء. تحاول أن تُقلل الخسائر من موت صغيرها وعزوف زوجها عن الحياة إلى

مصيبة واحدة حدثت بالفعل وليس بيدها تغييرها، إنقاذ ما يمكن إنقاذه إذا كانت هناك فرصة كما أخبرها الطبيب الخاص وأوصاها أن تعرضه على المستشفى الحكومي ليقوم باللازم.

لم تصدق حور ما تراه، طوال الأسبوع المنصرم لم يبرح هذا الرجل تفكيرها، هل من المعقول أن يحدث ما تتمناه فعلًا؟

***

وصلت حور المنزل في نفس لحظة وصول العاصفة القادمة رأسًا من المدرسة، "أهلًا أهلًا حمد الله على السلامة". ارتمى يحيى ويزيد في حضن حور، مكانهما المفضل ومأمنهما.

"ماماااا.. أنا عايز أقول لك على حاجة"

"بصي يا حبيبتي بصي جبت الجون إزاي"

"اسمعيني أنا الأول، ردي عليّا"

ضمتهما بكل قوة وحب وهي تتأملهما بحنان، ولداها يكبران دون استمتاعها بتربيتهما في كل وقت، يكبران في الجسد والخبرات، خَبَرا ما لم يخبره الرجال في سن الطفولة البريئة، لم يكن هذا اختيارها لهما، ولكنه هو من اختار ذلك بمحض إرادته بكل قوة.

كَبُرَ الطفلان، يتغير صوت يحيى الطفولي لصوت خشن، مع

بدء شاربه في الظهور. يتحول للمراهقة بسرعة الصبي ذي الاثنى عشر عامًا، بحبه للرياضة بصفة عامة وكُرة القدم المتفوق فيها بصفة خاصة. له نفس لون عينيها العسليتين، وأصبح ينافسها في الطول ويتفاخر بذلك أمام الجميع. أما يزيد فما زال طفلًا للغاية في مشاعره وأفكاره، وجسده النحيل وشعره الأشقر، مع لون عينيه السماويتين المميِّزتين لطلته، وبدعاباته ومقالبه التي لا تنتهي، وعشقه اللا محدود للأجهزة الإلكترونية، بداية بهاتفه المحمول مرورًا بالبلايستيشن انتهاءً بالكمبيوتر، مع عشقه لكُرة القدم أيضًا.

أمطرتهما بالقُبل والأحضان التي ترويها كما ترويهما بالضبط، بعد أن متَّعت عينيها بالنظر إليهما، واستنشقت عبيرهما المختلط برائحة الإجهاد واللعب طوال اليوم الدراسي.. رائحة الحياة بالنسبة لها.

"يلّا شباب.. بعد إذنكم وضوء صلاة وغداء، وبعد كدا نشوف هنعمل إيه"

قالتها وهي تدغدغهما، عندما تكون طاقتها مرتفعة لا بُدَّ أن تقوم بأفضل ما تستطيع مع أحبابها، لأنها في كثير من الأحيان لا تستطيع حتى أن تنطق أو تتكلم معهما، ولذلك لا بُدَّ أن تقوم بأقصى ما تستطيع عندما تسنح لها الفرصة بذلك.

يأخذ منها يحيى الأطباق وهو يساعدها في إعداد المائدة.

"شفتي يا ماما إيه اللي حصل؟"

"خير يا حبيبي؟"

"بيقولوا من أسبوع حصلت حادثة قُدَّام المدرسة، سواق موِّت ابنه من غير قصد"

جرى يزيد وهو يطلب من يحيى أن يحكي له ما حدث: "إيه اللي حصل يا يحيى؟"

شرع يحيى يحكي ما وصله من أخبار عن الحادثة المروعة، وانتهى وقت الغداء وهي محور حديث الأسرة الصغيرة، من حزنٍ على مقتل الابن وشفقة على الأب المسكين، وكيف سيكمل حياته بهذا الجرم غير المقصود.

مع انتهاء الغداء بدأ النصف الثاني لليوم، بداية مِن حل الفروض المدرسية والمذاكرة والاستعداد لليوم التالي في المدرسة، الساعات الأهم على الإطلاق من مجهود ومتابعة وصبر. تحمد الله أن التدريب الرياضي تم إلغاؤه اليوم، تريد أن تحتفظ ببعضٍ من قوتها لمكالمة الليلة مع شهد، المكالمة الاحتفالية المنتظرة بشوقٍ بعد أن نام يحيى ويزيد، مكالمة الذكريات السنوية منذ بداية صداقتهما إلى اللحظة الحالية.

رنَّ الهاتف يقطع حبل أفكارها، إنها شهد ليس جديدًا ما يحدث.

عندما تفكر فيها تجدها على الهاتف، آلآف المرات تتفوهان بنفس الجمل والكلمات في نفس التوقيت وبنفس الطريقة والأسلوب، ثم تغرقان في الضحك معًا.

"كل سنة وانتي طيبة يا حبيبتي، كل سنة وإحنا مع بعض يا رب"

حالة خاصة من الحب والعِشرة والقرب جمعت روحيهما، جعلتهما كيانًا واحدًا في مكانين مختلفين.

"نيِّمتي الولاد؟"

"أيوة الحمد لله. يااااه عشرين سنة عدوا وإحنا مع بعض! مش مصدقة يا شهد"

"فاكرة؟ فاكرة أول سنة اتقابلنا واتصاحبنا في المدرسة؟ تعالي نسافر لزمان، نطير ونرفرف مع حكايتنا وذكرياتنا الجميلة للسماء"

بَحبكْ

"أخـيرااا".. همهمـة عاليـة صـدرت فجـأة مـن تنهيـدات جماعيـة لانطـلاق صـوت جـرس المدرسـة، للإيـذان ببـدء فـترة راحـة مؤقتـة بـين الحصـص الدراسية. انطلقـت حـور وشـهد لمكانهـما المفضـل ابتغـاء بعـض الهـدوء في قلـب يـوم دراسي مجهِـد. صديقتـان في السـنة النهائيـة للمرحلـة الثانويـة، حـور بشـعرها الكسـتنائي الطويـل، وعيناهـا العسـليتين الواسـعتين ذواتَي الرمـوش الكثيفـة. ممشـوقة القـوام ببشرتهـا الصافيـة المشرقـة، وتـزداد جمـالًا إذا ابتسـمت ابتسـامتها الرقيقـة الممتلئـة بأمـل في الغـد. أمـا شـهد فأقـرب لقمـر بعيـون سـوداء كحيلـة لامعـة وغـمازة تزيِّـن منتصـف خدهـا. شـعرها أسـود مخملي بلـون الليـل. لهـا مـن اسـمها أوفـر نصيـب. سـمارها يأخـذ العقـل وضحكتهـا تـزرع الـورود بداخـل القلـوب. بـدأت الفتاتـان تلتهـمان القصـص والحكايات مـع العصـير والسندويتشـات قبـل بـدء الحصـة لتجديـد النشـاط. وأثنـاء كلام شـهد أخـذت تسـخر مـن أخيهـا الأكـبر ضيـاء الـذي لفـت اسـمه نظـر حـور، فسـألت شـهد بـكل اهتـمام وإعجـاب:

"بجد اسم أخوكي ضياء يا شهد؟ اسمه جميل جدًا"

وانتهى وقت الراحة لتكملة اليوم الدراسي، ولكن حور ظلت تفكر في اسم ضياء، اسم لفت انتباهها وأضاء يومها على حين غِرَّة. تتساءل كيف يبدو؟ هل يشبه شهد يا ترى؟ ومِن تلك اللحظة أصبحت تتحين الفرصة في كل مناسبة لتتكلم عنه مع شهد. ولكن هذا العام غير عادي وغير تقليدي، هذا العام عام تحديد المصير وتقرير المستقبل، لا بُدَّ فيه من الاجتهاد والتركيز والمثابرة. وتمر الأيام بسرعة مع اقتراب الامتحانات، ويزيد اقتراب وارتباط حور وشهد أكثر وأكثر؛ لهما نفس المبادئ والاهتمامات والميول، تقدسان الإخلاص والحب والوفاء، عملًا وليس مجرد أقوال.

بدأت الامتحانات وانهمكت الفتاتان في التحصيل والاجتهاد ويمضي الوقت سريعًا، وتأتي لحظة الحصاد لتكلل مجهود العام بدرجات مرضية لكلتيهما، لتتيح لهما دخول كلية الآداب في نفس مدينتهما الساحلية الجميلة، عروس البحر المتوسط، محافظة النور والبحر، ورائحة اليود والحب والهوى، عاصمة الرمال الناعمة التي تُكتب عليها الأسماء المتحابة، وتُرسم عليها القلوب والأحلام، فتتحقق أو تدفن مكان ولادتها، حكاية تبدأ مع كل موجة بعيدة في عمق البحر، وتنتهي على الشاطئ لتبدأ من جديد.

كانت أول مكالمة بعد النتيجة تضج بالسعادة والحماس، أخيرًا

بعد طول انتظار سنتقابل، بعد صيف طويل في نفس المكان الذي حلمنا أن ندرس فيه معًا. وبعد مناقشات طويلة لاختيار قسم الدراسة اختارت الفتاتان قسم علم النفس بكلية الآداب، لما له من فوائد في سبر أغوار النفس البشرية. كانت أعينهما على المستقبل، كيف أفهم نفسي؟ وكيف أتعامل مع شريك الحياة المنتظر؟ وأبناءٌ يتراءون في أحلام وردية تداعب رأسيهما، وحياة أسرية أقرب ما تكون لعش طير هادئ، وجنة صغيرة تضم الأسر الصغيرة.

مع بداية التقديم وقع الاختيار على ضياء من قِبل والديه لمساعدة أخته شهد للتقديم في الجامعة. يوميًا يقابل حور، ويساعدها بالتبعية في أوراقها هي الأخرى. شاب أسمر في مقتبل العمر، متوسط الطول رياضي البِنية عريض المنكبين. يشبه شهد في العيون السوداء اللامعة والشعر الأسود الداكن، والغمازات الرائعة.. أكثر ما تحب حور في شهد.

مع الوقت بدأت حور وشهد بملاحظة الاهتمام المتزايد من ضياء لحور، وقراءة سطور تُكتب بحبر سري بين حور وضياء. وانتهى التقديم للكلية، والتحقت الفتاتان بالقسم الذي تمنتا الالتحاق به، وبالتالي انتهى دور ضياء في الحضور لكليتهما، وخاصة أنه في السنة النهائية بالجامعة بكلية الخدمة الاجتماعية. ولكن حضوره استمر ولم ينته، وبدأ التعلل بالحضور لأصحابه المقربين في

كلية التجارة في نفس المجمع النظري، والتحجج بالاطمئنان على شهد في عالمها الجديد.

كلما هاتفت حور شهد كان يتعمد أن يرد على الهاتف، ويَسعَد بسؤالها عن اسمها.

"مين معايا؟"

"أنا حور.."

يتركها لشهد ويترك لنفسه العنان وهو يتذكر منذ أكثر من عدة شهور قبل أن يقابل حور في الجامعة، عندما سأل شهد عن صور حور الموضوعة فوق مكتبها.

"صاحبتك دي حلوة أوي وهادية، وابتسامتها جميلة، أنا عايز أتجوزها"

تضحك شهد بملء فيها: "إنت تطول؟ دي متقدم لها مليونير وهي مش موافقة عليه أصلًا، هترضي بيك إنت؟ يا ريت كان ينفع"

يرد ضياء بخيبه أمل: "يا خسارة يا شهد.. طيب خلاص واحدة شبهها"

في تلك الفترة كان الكثير يتقدم للزواج من حور، ولكنها كانت ترفض بكل قناعة، لم تجد منهم من يوافق أحلامها وطموحاتها، من

تشعر معه أنه الشخص المناسب لتبني حياتها معه، لم تكن تبحث عن الجاه والمنصب والماديات والكماليات بالمرَّة، كانت تبحث عن الرجل الحقيقي المسؤول لتُكوِّن حياةً حقيقيةً، تبني أساسها مع من يختاره قلبها وعقلها معًا، جنبًا إلى جنب. ولم لا؟ كل شي يمكن تحقيقه بالصبر والسعي، وهي ستنتظر، لا يوجد ما يدعو للعجلة إلى أن يأتي من يناسب حلمها وأمنياتها.

زادت زيارات ضياء لشهد بطريقة مبالغ فيها، وأصبح من الواضح أن الاهتمام منصب على حور، خاصة عندما طلب أن يُعرِّفهما على أصدقائه في كلية التجارة، خشية أن تحتاجا لأي مساعدة في عدم وجوده، فتجدان من يساعدهما في أي وقت، فيتسنى له جمع الأحباب والأقارب بالأصدقاء.

مع الوقت بدأ الاندماج وتلاقت الأفكار وزاد الإحساس. يحكي لحور عن أحلامه وطموحاته وهي تستمع له، تتمني أن تكون شريكته في تلك الأحلام التي أصبحت أحلامها بالتبعية هي الأخرى. أحبت مرحه الدائم وضحكته وروح الفكاهة التي تميزه، مع شخصيتة المتفائلة الطموحة، وبساطته وعدم تعقيده للأمور. وأكثر ما أعجبها وطمأنها عقله الذي يحترمها ويقدرها في كل وقت وحين.

كان ضياء رجلًا مسئولًا بمعنى الكلمة، طلب من والديه أن يتقدم لخطبة حور رغم مرور أقل من شهر على معرفته بها،

ولكنه وجد فيها مبتغاه. وتعهد بتحمل كل التزامات هذا الارتباط على عاتقه. وتمَّت الخطبة، وزيَّن خاتم الخطبة البسيط - الذي اختارته حور لكي لا تثقل عليه - إصبعها، ليعلن للجميع ارتباطهما الرسمي الذي وطد ارتباطها بشهد أعز صديقة لها بعلاقة أقوى، علاقة نسب وقرابة، وبفرحة عمرها بضياء التي تقترب على مهل.

ضياء شاب من عائلة متوسطة. في بداية حياته العملية، حتى الكلية التي تخرَّج فيها لا يوجد لها مجال عمل محدد يمكن أن يصبح مصدر دخل واضح وثابت. كان لا بُدَّ أن يبدأ بالبحث عن مجال عمل يدر عليه دخلًا يعتمد عليه في تكوين نفسه، فاختار مجال التسويق العقاري. تساعده حور وتدعمه بكل السبل، عهد أخذته على عاتقها بالوقوف بجانبه على الدوام. اجتهد ضياء والتزم بالعمل ليل نهار بداخل الإسكندرية وخارجها، وكلما عاد من سفر تذكَّر حور ولو بكوب فخاري أو قطعة إكسسوار تعجبها، تخبرها أنه يتذكرها على الدوام، ليجدها تنتظره أيضًا بمشغولات الفضة التي يحبها للغاية، مزيَّنة باسميهما. هكذا كانت علاقتهما في تطور وازدهار دائم. كلما مر الوقت زادت معرفتها وارتباطها به، يشبهها في الظاهر في حب الخير والأخلاق وكره الظلم وسوء الأخلاق.. ماذا تريد حور أكثر من هذا؟ ليس أكثر من أن ترتبط بإنسان.

أتى فصل الصيف، وبدأ موسم العمل بكل قوة لجمع مبلغ من المال ليصبح مقدم شقة الأحلام، لا يهم موقعها أو مساحتها، المهم أن يصبح الحلم حقيقة، ولا يوجد طريق لذلك غير العمل الجاد. وبمساعدة حور وشهد تم تقليص النفقات وترشيدها، وتجميع حتى العملات المعدنية فئة القروش، إلى أن تصبح مبلغًا صغيرًا، فيتم تغييره بعملة نقدية. قصة كفاح مشرِّفة يشيد بها البعيد قبل القريب. ضياء أصبح ضياء حياتها، وهي فخورة باختيارها وذكرياتها التي تبنيها على أنغام جميلة لشريط كاسيت يضم أحلامهما وضعت فيه أكثر الأغنيات التي تمس شغاف قلبيهما وترسم أحلامهما.. "كلمات"، "نحلم على كيفنا"، "استحالة"، "اعتراف"، "من قبل الزمان". حالة من الأمان والاطمئنان. وزادت المفاجآت وأصبح الكل شهودًا: البحر والشارع والسماء، على حب يزيد ويتعملق، عن اثنين أصبحا كلَّ شيءٍ لبعضهما البعض، أصدقاء وأحباب، في كل خطوة دعاؤهما يا رب قرِّب البعيد. أصبح الحلم على مقربة؛ مجرد بضع خطوات. جمعت حور كل ما كانت تدخره وساعدت ضياء بكل مالها الخاص، ووضعته مع حصيلة العملة المعدنية فكوَّنت مبلغًا من المال. ومع البحث المضني وجدا ضالتهما في شقة صغيرة ترى البحر من بُعد، هواؤها عليل ونسيمها بديع، وتطل على حدائق المنتزه الغنَّاء بأشجارها الخضراء وأزهارها الملونة الفيحاء.

"هيّ دي اللي هنشتريها، أنا وقعت في غرامها"، انتبهت حور وعقد الشقة بيدها، وضياء في طريقه صباحًا ليؤدي الخدمة العسكرية ضابط احتياط، لا تدري أتضحك لحصولها على شقه الأحلام؟ أم تندب حظها على سفره لثلاث سنوات صبيحة شراء الشقة؟ كانت أول تجربة لهما في البُعد، تحدٍّ لم يَخبُراه بعد، ولكن لا يوجد بديل أو مخرج إلا مرور الأيام. كانت سلواها الذهاب لبيتها الجديد تحلم بحياتهما المستقبلية، وأول ما فعلت ركَّبت بابًا للشقة، لأنهما استلما الشقة حتى قبل تركيب الباب. أخذت ترسم ديكورها، وتخطط أحلامها لحين عودة ضياء من الخدمة العسكرية.

بعد مرور شهر من فترة التجنيد، ذهبت حور مع شهد وعائلة ضياء لزيارته أثناء فتره تجنيده الأولى، هناك عادت لها روحها من جديد، وأدركت أنه الوحيد الذي ستكون له زوجة يومًا ما. انتهى وقت الزيارة، تركته وهي تتمزق، تأبى قدمها أن تطاوعها وتتحرك كأنها تزن أطنانًا من الرمال. ولكن الأمن لا يعترف بالمشاعر، انتهى الوقت وعليهم العودة، لا مفر من الحركه فورًا. إجهاده الواضح وبصمة الشمس الحارقة على مُحيّاه أثقلتها بهموم أكثر وأكثر، وجعلها معترضة أكثر من ذي قبل أن تكمل الطريق وحدها لحين خروجه من الخدمة العسكرية.

زواج

أول عمل قام به ضياء في أول إجازة له هو عقد قِران شقيقته شهد على زوجها، وعقد قِرانه هو وحور، والذي حدث فجأة ودون أية استعدادات، ولكن من يسعى للزواج فعلًا ييسِّر له الله الأمر، ودون سابق موعد تم تحديد يوم عقد القِران. لحظات من الفرحة لا توصف، حلم يتحقق، وعهد ووعد يوثَّق بميثاق غليظ أمام خالق الأكوان بالمودة والرحمة والسكن والأمانة والإخلاص والوفاء، هذا ما طلبته حور فقط وما ارتضاه ضياء، وهو يؤكد لها حبه وتقديره لدعمها له وطمأنتها.

"خلاص بقينا لبعض، ولا قوة في الدنيا كلها تقدر تفرقنا لغاية ما نكبر ونعجز سوا، وأحفادنا حوالينا. أوعدك هحافظ عليكي عمري كله، ومش هخليكي تندمي لحظة على حبك ومساعدتك ليا ووقوفك جنبي. عاملك مفاجأة.. كتبت لك حاجة من قلبي يارب تعجبك.. "أربع حروف"، هقولها لك في كل وقت وكل مكان وقدام أي حد، جَمَّعيهم وقولي لي طلعوا إيه؟؟"

ب: بوعدك بحياة السعادة فيها عنواننا الجميل

ح: حب ودفا والقلب دقاته تزيد

ب: بالفعل كل حلم هنحلمه بينا تحقيقه أكيد

ك: كلام جميل صادق وعهد ووعد دايمًا جديد

هي أحلى أيام العمر، صبر وجهد وتضحية، وتسابق بينهما وتفنن في إسعاد بعضهما البعض بكل طريقه ممكنة وبسيطة، كعشاء يُسجل تاريخه ومشاعره على ورق المناديل لمطاعمهما المفضلة، يُذيَّل باسميهما وقلبيهما عليه، وتحتفظ بها حور مع باقي ذكرياتهما و"أربع حروف" أكثر كلمة تُقال بينهما بالفعل قبل الكلام. أصبح سؤال "إنتي راضية عني؟ و"إنتَ راضي عليَّا؟" هو السؤال الدائم لبعضهما البعض، وكانت دومًا الإجابة عنه مُرضية بامتياز لكليهما.

انتهت فترة التجنيد وبدأت الاستعدادات للزفاف على قدمٍ وساق..

يتعجب ضياء: "معقول ست سنين عدوا من حياتنا من ساعة ما عرفنا بعض بسرعة كدا؟ كلهم أحلى من بعض، كل سنة نحتفل بيها ونقيِّم علاقتنا، ونشوف إزاي نقرب من بعض ونفهم بعض أكتر، استفدنا إيه واتعلمنا إيه، ونجيب بريد الجمعة الأسبوعي ونحلل المشاكل وسببها، والحل الأنسب ولو كنا مكان أطراف

المشكلة نحلها إزاي". كانت علاقة ناجحة بكل المقاييس، بُنيت على العقل والقلب السليم، والمشاعر المرهفة والتقدير، والمباركة من الله قبل البشر في كل حياتهما.

مع العد التنازلي تنازلت حور عن كثير من الأساسيات في البداية، وكانت هي وعائلتها اليد اليمنى المساعدة لضياء بكل ما تملك، من مساعدة في دفع إيجار مسكنهما، أو شراء ما يلزمهما من باقي التزامات ضياء، من أجهزة ومستلزمات. لم تكن تضع الحدود بينها وبينه، فهو مليكُها وبالتالي ما تملكه يملكه بالتبعية.

أتى يوم الزفاف، يوم الاحتفال والفرحة العارمة، يوم الحلم والفستان الأبيض، ولكنه ليس كأي فستان آخر، هو اختيار حُر تم دراسته بعناية. وأتت النتيجة على مقدار السعي والتعب في البناء؛ السعادة بطعمها، وأزهارها وألوانها ورائحتها لا تخطئها العين، ولا يمكن أن توصف، فقط تُحَسّ، تنير الوجه وتُدمع العين. يجن القلب من زيادة ضرباته وارتباكها، الكل في قمة سعادته بنجاح قصة كفاح تكللت بالنجاح، وبيتٌ جديدٌ ينتظرهما ويفتح أبوابه على مصراعيه بشوقٍ لهما.

كان حبهما مميزًا وواضحًا للعيان، فالعشق لا يمكن إخفاؤه أو مداراته. روحٌ ارتاحت لروحٍ، وعينٌ صدَّقت عينًا، وقلبٌ سَكَن لقلبٍ، وعقلٌ فهم عقلًا، وجسدٌ احتوى جسدًا، وكيانٌ اتحدّ بكيانٍ،

وظَهرٌ دعم ظَهرًا، ويدٌ ضمّت يدًا، وحياةٌ اقترنت بحياةٍ، وطاقةٌ ضاعفت طاقةً، وحلمٌ روى حلمًا، فأنبت ورودًا ورياحين تَجمُل وتحلو بها الأيام، حب به تهون الصعاب، ويعطي الحياة نكهات متكاملة ممتزجة، من أبوّة وأمومة وعشق وصداقة.

حور وشهد لا يوجد أي وصف لفرحتيهما، أحضان ودموع وفرح، حالة مختلطة من كل المشاعر، فقط عيونهما تعبر عن عمق مشاعرهما وسعادتهما بصلة القرابة بعد الصداقة.

بعد زواجهما بأيام قليلة، اجتمع ضياء وحور وشهد وسما في ليلة بهيّة، ضمهما الفرح بتحقيق الحلم ولم الشمل، بإنجازهما الملموس ونجاحهما معًا. واحتفل معهما المكان الذي طالما ضمّهما من قبل، ولكنهما ولأول مرة زوجان أتيا من نفس الطريق وسيعودان معًا لنفس المكان. سعادتهما أسعدت كل من يمرون بهما، وضحكهما أينع بهجة في قلوب المحيطين بهما، وأصابت عدوى حبهما ومرحهما المكان، فتركاه جنة يانعة يتمنى الكل المكوث بها معهما. أضفى الزواج على ضياء وحور الكثير من الهدوء والاستقرار، والبهجة والخصوصية، راحة بعد كد وعناء سنوات من الانتظار. ومع مرور الأيام يتأكد الإحساس بتوفيق الاختيار؛ هو من كانت تبحث عنه، وهي من كان يبحث عنها، ورضا تامٌ بما صارت إليه الحال.

بعد مرور شهر على زواجهما، يرزقهما الله بروح جديدة ستجمع

حبهما في شكل مجسد ملموس، طفل يُرى ويُحمل، كيان حقيقي يحمل سماتهما ويخلِّد علاقتهما إلى يوم الدين.

حور ستصبح أمًّا، ولا بُدَّ من أن تكون على قدر المسؤلية، بدأت في القراءة عن الأطفال وتربيتهم، واستعانت بكتب دراستها في قسم علم النفس، وضياء في قمة سعادته بها. تزيد بينهما المواقف الرائعة والذكريات التي لا تُنسى. شهد ستصبح أجمل عمّة لأجمل طفل، ولكن حور وشهد يصران على أن يذكرا علاقة صداقتهما قبل علاقة قرابتهما، هذا هو الأصل بينهما، شهد تقدم حور دائمًا: "حور صاحبتي ومرات أخويا".

كَبُر صندوق ذكرياتهما، امتلأ عن آخره بقصاصات شِعر وحب، وكروت ثناثرت كبتلات ورود يفوح شذاها في أنحاء المنزل، رسائل فوق الثلاجة وعلى المرايا وبين طيات الملابس، تسرُّ الخاطر ليل نهار. الضحك لا يفارقهما أينما حلَّا، حتى في فترة الحمل لا يسلم الأمر من مقالب خفيفة يخيف ضياء بها حور، من وضع صوت فأر في المطبخ، ورؤيته لها وهي تجري خارجه منه وتترجاه أن ينقذها وهو يكاد يغشى عليه من الضحك، وبمجرد رؤيتها لوجهه تفهم ألاعيبه، فتجري وراءه لتضربه ولكنها لا تستطيع الإمساك به، فيسخر من حملها، وكيف أنها لن تلحق به مهما فعلت، فتصر وتظل تجري وراءه إلى أن يقف لتمسكه خوفًا عليها، فتقتص منه

أيـما اقتصـاص؛ مـرة أمسـكت أدوات زينتهـا وطلبـت منـه أن تدهـن وجهـه بأصباغهـا فحقـق أمنيتهـا وتركهـا لتحولـه لمهـرج سـيرك، وفـور انتهائهـا دق جـرس البـاب بضيـف مفاجـئ فسـكتا كأنهـما بالخـارج، وبعـد انصرافـه مـن أمـام المنـزل سـقطا صريعَـيْنِ للضحـك، فـكادت حـور أن تفقـد حملهـا مـن شـدة ضحكهـا عليـه.

كـم مـن المـرات يكـون الجـو حـارًا للغايـة فيثبِّـت المروحـة عليـه لوحـده وهـي غارقـة في عرقهـا، إلى أن تـدرك أنـه لا يحركهـا فتمسـك بـه وتضربـه بـما تجـده بجانبهـا، وهـي تضحـك.

"شكلك أناني"

فيغيظهـا: "ضرب الحبيـب زي أكل الزبيـب الاتنـين أحـلى مـن بعـض"

كانـت الحيـاة الجديـدة حيـاة ورديـة، بـكل مـا حوتـه مـن سـفر وسـهر وتألـق في المفاجـآت، واخـتراع وجبـات غريبـة في منتصـف الليـل، ومـن ثـمّ مشـاهدة الـشروق معًـا. يعشـقان الابتـكار في تجديـد عالمهـما الصغـير، وأصبـح أهـم مميـزات سـمات الحيـاة التـي رسـمها الزوجـان، والتـي سـعدا بتنفيذهـا عـلى مـدار حياتهـما، سـواء مـن تفاهمهـما الرائـع أو الإحسـاس المتبـادل وتقديـر الظـروف، فلـم تحـدث بينهـما أي مشـكلة طـوال عِشرتهـما الجميلـة، والتزمـا بالوعـد فلـم ينامـا ولـو ليلـة واحـدة

وفي قلبيهما غضب أو ضيق من بعضهما البعض، فأصبحا مثالًا يُحتذى لكل من يحب النجاح في الحياة الأسرية المستقرة السعيدة.

تتهادى بهما الحياة ويكثر التفكير في المستقبل، فالحال تختلف عندما يكون هناك أطفال على وشك القدوم يحتاجون إلى استقرار وأمان أكثر. ومع بداية الحياة الزوجية وزيادة أعبائها كان لا بُدَّ من البحث عن مصدر دخل مستقر غير موسمي مثل التسويق العقاري الذي عاد ضياء للعمل به بعد ترك الخدمة العسكرية، وهنا أتى دور والد حور الذي قدم ضياء لأحد أصدقائه الذي يمتلك فندقًا معروفًا وكان يبحث عن شاب طموح سريع التعلم ويمكن الاعتماد عليه، "وهل هناك أكفأ من ضياء؟". والد حور ووالدتها تربطهما بضياء علاقة طيبة للغاية، هو ابنهما الأكبر وزوج حبيبتهما حور، ويتمنيان سعادتهما ويهتمان لأمرهما أيَّما اهتمام، وهكذا تم قبول ضياء وتعيينه في فندق الزمردة، في قسم الموارد البشرية، واستلم العمل وبدأ فترة التدريب وأثبت فيها كفاءة واضحة من أول يوم، وكان على قدر المسؤلية.

بدأ ضياء الاستقرار الفعلي في العمل وإثبات قدراته وتميزه الواضح، وبرز اسمه شيئًا فشيئًا من ضمن المتميزين الفاعلين في إدارة الفندق، واستيعابه للمهام الموكله إليه. وترك بصمته الواضحة التي لا تخطئها العين على عمله مع مرور الوقت. وتمر الأيام بكل

صعوبتها في الحمل على حور، مع نجاح ضياء في العمل، ومعرفة أن طفلهما الأول صبي، فاتفقا على اختيار اسم يحيى لمولودهما الأول، لكي يُحيِي بينهما كلَّ جميلٍ إلى ما لا نهاية، يُحيِي الحُبَّ، والحياة التي تجمعهما معًا مع يحيى.

وأخيرًا وبعد طول انتظار ومرور التسعة أشهر جاء اليوم المنشود، لتفيق حور من المخدر في المستشفى على ضياء وهو يجلس بجانبها يمسح على رأسها ويقبِّل جبينها، فيملؤها بالحب والحنان، ويمدها بالقوة لتعبُر هذا الوقت الصعب بسهولة قدر الإمكان. يسطع حبهما في المكان فيضئ وجهها ويدفئ قلبها ويعينها على ما هو قادم من الأيام.

أضاء يحيى الدنيا بصراخه وضوضائه، كانت فترة عصيبة حتى استطاعت حور استئناس هذا الكائن الرقيق الوديع في هدوئه وسكينته، المفزع في صراخه وبكائه، وصموده وعدم نومه بالأيام.

وكعادة حور بعد مُضيّ أول أشهر في حياة يحيى، بدأت في التفرغ مرة أخرى لضياء، فهو الأصل والمدار الذي تدور في فَلَكه. مصلحته وفرحته تُبدِّيها على نفسها، وهي أولى اهتماماتها. لم تحرمها الأمومة من سفر بمفردها مع زوجها، أو سهرة مع أصدقائهما حتى بزوغ الشمس، فسما ووالدتها يهيمان حبًا بيحيى، ويستقبلانه ليل نهار في أي وقت تحتاج حور لمساعدتها، فحور تؤمن بالتوازن بين

الأدوار فلا يطغى دور على دور. لا يهم المكان أو الزمان، المهم أنهما معًا يستكشفان العالم وأيديهما متشابكة مع بعضها البعض.

يقترب عيد ميلاد يحيى الأول، وتتغير نظرة حور للأشياء كلما تقدم يحيى بالعمر. لم يكن موقع منزلها الشعبي يعني لها أي شيء قبل قدوم يحيى، جُلّ ما كان يعنيها أن تكون مع ضياء في أي مكان، ولكنها الآن تخاف من تأثير البيئة المحيطة على يحيى، ونشأته في هذا المكان غير المناسب، فكانت هدية الله لها بأن عرض عليها والداها الانتقال للعيش في شقتها المغلقة.

"كدا كدا شقتك موجودة وفي نفس العمارة معانا، تعالوا نوروها ويحيى يكبر فيها، وتبقوا قريبين مننا"

وانتهت الترتيبات من تجهيزات الشقة الجديدة مع عيد ميلاد يحيى الثاني.

استقرت الحياة تمامًا وزادت بهاءً وجمالًا، أحلى لحظات اليوم لكليهما، وضياء يحكي لحور قصة قبل النوم يوميًا، لتنام على إثرها مبتسمة مرتاحة النفس قريرة العين.

"إنتي بنتي حبيبتي، لازم أحكي لك حدوتة كل يوم زي يحيى بالظبط، المهم إنتي راضية عليّا؟"

تعشق باب منزلها المغلق عليهما، لا أحد يشعر بما يمران به

من تحديات، أو بما يحيط بهما من التزامات. يحيى الغالي في غرفته على سريره، وصوت القرآن العذب يبعث على السلام والأمان، يغمر القلوب بالرضا، والعيون الناعسة بهمسٍ بأمنيات ليلٍ هانئ وأحلام سعيدة، نِعم الله عليها لا تنفذ، تتمنى أن يرزق الله الجميع كما رزقها الحب والسعادة، مع راحة البال وصلاح الحال.

يتقدم ضياء في عمله ويثبت نفسه مع الأيام، ويكبر يحيى ويملأ حياتهما نورًا وفرحة. ركزت حور أكثر وأكثر في الدراسة مرة أخرى وحضور الدورات التدريبية في مجال السعادة الأسرية وتربيه الأبناء، والتقديم للدبلومة في مجال تربية الأطفال، واشتغلت بتطبيق كل المعلومات على أرض الواقع لتحقيق معادلة النجاح. وأصبحت حياتها مع ضياء محط أنظار الجميع، نيتها نشر الفكر الإيجابي عن الاختيار الصحيح والزواج المستقر السعيد، وبساطة تنفيذ هذا الفكر بتجديد النية وبالإخلاص وتقديم كل ما يمكن تقديمه، والأهم دومًا تطبيق شعار "ابدأ بنفسك".

تزوجت سما من طبيب شاب، وبدأ أصدقاء العمر والجامعة في الزواج، واحدٌ تلو الآخر، وزادت السهرات وكثرت السفريات، وأصبح هناك موعد أسبوعي للقاء الأصدقاء، مهما انخفضت درجة الحرارة أو زادت الأمطار، مقابلات أصبحت تعني إكسير الحياة لأصدقاء ضياء وجيرانه من المرحلة الابتدائية، وأصدقاء حور من

مرحلة الجامعة، مجموعة مترابطة للغاية ومُحبة للحياة، ناجحة على المستوى الشخصي والعملي، يميزهم دعمهم لبعضهم البعض في اتخاذ القرارات والأفراح والأزمات، أكثر من الإخوة، من أزواج وزوجات. ومع الوقت زاد الأطفال وكبرت المجموعة، وأصبح الوقت مناسبًا للتفكير في أخٍ ليحيى، ووقع الاختيارعلي اسم هَنَا إذا كان القادم صبية، ليزيد الفرح والهناء على يدها، وعلى اسم يزيد، ليزيد الحب ويكثر في حياة أسرتهما الصغيرة، إذا كان القادم صبيًا. وزادت متع الحياة وزاد النجاح ووصل لذروته.

في خلال فترة الحمل تم إنشاء فرع جديد للفندق الذي يعمل به ضياء، وتم استدعاء ضياء لمقابلة مديره في العمل، وكانت أمنية حور أن يكون سبب المقابلة ترقية ضياء وتنصيبه مديرًا للفندق الجديد، وليتها لم تتمنَّ.

وبعد مرور عدة ساعات عاد ضياء من العمل، تستقبله حور كعادتها وتفتح له الباب.

"هاا يا حبيبي زي ما قلت لك؟"

يرد عليها بابتسامة صافية "أيوة زي ما قلتيلي"

لم تتمالك حور نفسها من الفرحة، أخذت تقفز وتضحك بحملها، وهي تمسك بطنها وضياء يمسكها ويحاول تثبيتها.

"يا مجنونة خلي بالك من نفسك، ما ينفعش تتنططي كدا"

ترد عليه دون أن تتوقف: "نَفسي مين؟ إنت نَفسي.. المهم إنت تكبر وتكبر، وبعدين أي حاجة تيجي بعد كدا"

انهمك ضياء في التجهيز لعمله، بكل قوة وتركيز واجتهاد. تساعده حور في كل صغيرة وكبيرة، تشاركه الحلم والأمل، تفكر معه وتختار معه أفضل التصميمات أمام شاشه الكمبيوتر، تقرأ وتلخص له مبادئ علم الإدارة وعلوم الموارد البشرية. تنظم مواعيده وملفات الموظفين المقترحين. ومع العد التنازلي لافتتاح الفندق كانت ولادة يزيد، وكان التيمُّن باسمه حقيقةً لزيادة كل خير في حياتهما.

وُلد يزيد في جوٍ ربيعي، وكانت فرحة حور وضياء به غامرة، أصر على إثرها ضياء على مرافقتها والمبيت معها في المستشفى، يطعمها بيده ويناولها الدواء بدلًا من الممرضة، يُدلِّك يديها وقدميها، يُسمعها القصص والأشعار عن أميرته حور ومدى حبه لها، لتنام حور ليلة عمرها الحقيقية يوم ميلاد يزيد، وعيون كل من في المستشفى تغبطهما على علاقتهما الرائعة التي تشع في الأجواء المودة والرحمة والسكينة. بكت حور كثيرًا بعدما عادت من المستشفى لمنزلها من تمام النعم من أهل وزوج وصديقة، وطفلين

كما البدر في تمامه زيَّنا حياتها؛ بكاءً لم تعرف سببه ولعل القادم هو السبب دون أن تعرف وقتها.

تم تحديد يوم الافتتاح للفندق الجديد في اليوم العاشر لولادة يزيد، كان ضياء وحور يتمنيان أن تستطيع حور حضور الافتتاح، وأن تشهد نجاح ضياء الذي ساعدته فيه، ولكن كان الأمر خارجًا عن إرادتهما. في الصباح الباكر ذهب ضياء لعمله تحوطه دعوات حور بالمباركة، وبدأت حور تنفيذ خطتها فورًا.

هاتفت سما: "مستعدة تقعدي مع يحيى ويزيد ساعتين وقت الاحتفال بافتتاح الفندق؟ واطمني المرة دي مش هعرف أتاخر عليكي زي كل مرة"

ضحكت سما وهي ترد عليها: "والله إنتوا الاتنين مجانين ومش مضمونين".

وبالفعل بدأت تستعد بكل هدوء على مدار اليوم، لم تكن متمكنة بعد من المشي بطريقة طبيعية إثر الجراحة القيصرية، وكانت الآلام تهاجمها بشراسة بين الحين والآخر عندما تقف لأكثر من دقيقتين، ولكنها تحاملت على نفسها بكل ما أوتيت من قوة لتُسعد ضياء، وترى فرحته بنفسها وتشاركه فيها.

تحركت حور قبل الافتتاح مباشرة، كان الإجهاد واضحًا عليها للغاية، ولكنها لم تأبه لذلك. استقلت سيارة الأجرة ونزلت أمام الفندق مباشرة، وأخبرت الأمن بالخارج أنها تريد مقابلة أستاذ ضياء فورًا. كان التعب قد نال منها مبلغه، والألم أتى على البقية الباقية من تحملها، ولم تعد قدماها تقويان على حملها أكثر من ذلك. أتى ضياء، نظر إليها ولم ينطق، وشت بفرحته لمعة عينيه وضحكته وضمته الرقيقة الحانية الماهرة في مسح تعبها في ثانية واحدة كعادته.

همس لها: "اتفضلي يا أميرتي، دلوقتي بس حسيت بطعم نجاحي"

جلست حور محاطة بزملاء ضياء، من رؤساء ومرؤوسين، الكل يحدوه الأمل في النجاح والتميز للفندق بشكل عام، وكان اهتمام حور بضياء بشكل خاص.

زاد الاجتهاد وزاد للمحافظة على النجاح والانطلاق بالفندق نحو الآفاق، وحور وراءه تعمل جاهدة على توفير كل سبل الراحة والدعم لحبيبها، والوصول للمثالية في كل الأدوار التي تقوم بها في المنزل.

وكانت كلمة السر التي تساعدها في ذلك أسرتها، فحور وضياء أولادهما، وقلب المنزل النابض، ضياء ليس زوج حور فقط ولكنه

أصبح ابنًا حقيقيًا لوالد حور ووالدتها. كانت كل أحلام الجد والجدة متمثلة في رؤية السعادة على وجوه الأحبة، ولم يبخلا أو يضنّا بجهد ومال أو نصيحة لتحسين حياة الأسرة الصغيرة في كل النواحي، خاصة المادية منها، مع دخول يحيى المدرسة، وأن تتخطى حور هذه المرحلة الحرجة في بداية حياتهم بمتطلباتها الكثيرة من طفل وليد ومدرسة جديدة.

وبالتبعية أيضًا أصبحت حور ابنة لوالد ضياء ووالدته، كلما أخذه العمل بعيدًا تحثه على مكالمتها وزيارتها، وقضاء وقت جميل معها. تنتظر أي مناسبة لتفنن وتختار ما يحبانه، وتضغط على ضياء لتوفير الوقت لزيارتها والاحتفال معها وبرِّهما كما ينبغي.

وعادت الحياة لتتألق بعد ولادة يزيد وعودة حور لمقدرتها على الحركة، والتعامل بطبيعية، ليعود ضياء فيجد "البانيو" جاهزًا بالماء الفاتر، وأوراق الورود الحمراء تنتظره على صفحة الماء ليزيل عناء اليوم وإجهاده. وهو أيضًا يراعي ألا يعود خالي اليدين من كيس حلوى لكل من يحيى ويزيد، وكيس آخر خاص بحور فيه ما تحبه وتشتهيه نفسها، أو وردة كُتب على أوراقها أربعة حروف، فضياء يؤمن أن الورد يطرح ابتسامات على ثغر الزوجات، كلما زاد جمال وروعة الوردة زاد سحر وبهاء الابتسامة.

مع صوت مفتاحه في الباب تدب الحياة والنشاط في المنزل،

وتتعالى الضحكات فيوزِّع عليهم القبلات والأحضان، ويرتفع صوت الكُرة مع الصرخات والضحكات، ومن ربح منهم الكأس اليومي في مباراة بين الكراسي والطاولات، وحور تخاف على ثلاثتهم من الوقوع أو الجروح، ولكن لا حياة لمن تنادي، لا أحد يسمعها أو يرد عليها منهم، وتنتهي المباراة بدغدغة ومباريات أخرى تنضم لهم فيها حور من ألعاب "السلم والثعبان والشطرنج والكوتشينة"، إلى أن ينام الصغار على كتف والدهم الذي يحملهم لغرفتهم ويهتم بتغطيتهم طوال الليل مع حور.

ينبلج الصباح فيُقسم ويُصر ألا تتحرك حور من مكانها، وتركها جالسة في سريرها، يرفض رفضًا باتًا مهما ترجّته أن يدعها تُحضر له طعام الإفطار في المنزل، أو تجهيزه ليأخذه معه للعمل. يكفيه أن تتحدث معه وهو يرتدي ملابسه، لا يحتاج لأكثر من ذلك، فتودعه بدعائها، ولا يتحرك من المنزل إلا بعد سماعه وتأمينه عليه.

أما عن يوم الإجازة فحدِّث ولا حرج، هو يوم مقدس يصر فيه ضياء على تحضير الإفطار لحور بنفسه، ومساعدتها في ترتيب وتنظيف المنزل لتوفير أكبر قدر من الوقت يقضيانه معًا. إذا ما مرضت حور يجن جنونه من قلقه عليها، فيكون من المستحيل أن يدعها تتحرك من مكانها، فيقوم بكل واجباتها المنزلية، ويصحبها للطبيب بحب واهتمام، كأنها يحيى أو يزيد. يكاد يحملها حملًا من

على الأرض، يواليها بالرسائل والمكالمات حتى يتأكد طوال الوقت أنها بخير، وربما أخذ إجازة إذا سنحت الفرصة ليمكث بجانبها في المنزل فيهدأ قلقه عليها ويستكين.

عند الوصول لهذا الحد من الذكريات في مكالمة حور وشهد، عاد عصام زوج شهد من العمل، لتنهي شهد المكالمة مع حور، بعد أن سلَّم عليها عصام وتمنى لهما دوام الحب والصداقة والعِشرة الطيبة. واتفقت الفتاتان على موعد مقابلتهما في اليوم التالي ليحتفلا بيومهما معًا، واستكمال تذكر ذكريات ليتها لم تحدث ولم تكن، ولكن ليس باليد حيلة، ما حدث قد حدث، وما جرى جرى وكان.

تكوَّرت حور على نفسها وهي تمسك مصحفها وتحتضنه جيدًا، يجافيها النوم ويهجرها إذا لم يكن مصحفها يلامس قلبها منذ أن حدث ما حدث، فتحتويه ويحتويها ويربت على فؤادها.

***

طرقت حور باب مكتب مدير المستشفى.

"اتفضل"

"د. محمد صباح الخير"

"أهلًا وسهلًا أستاذة حور.. اتفضلي"

"كنت عايزة أعرف تفاصيل الحالة اللي وصلت المستشفى إمبارح.. السواق اللي قتل ابنه، أنا شفت الحادثة بالصدفة، كنت سايقة العربية اللي ماشية وراه، واتفاجئت امبارح إنه نزيل هنا، وزي ما حضرتك عارف أنا محتاجة حالة كمان مع الأربع حالات اللي معايا أناقش عليها الماجستير اللي بحضره على الصدمات وتجاوزها، فيا ريت حضرتك تسمح إنه يكون الحالة الباقية اللي لسه بدور عليها وأناقشها إن شاء الله"

"تقصدي حنفي، ما عنديش مانع طبعًا.. اتفضلي ملفه. كنت لسه باطلع عليه ولو احتجتي أي مساعدة أنا موجود"

"شكرًا جزيلًا د. محمد"

خرجت حور مسرعة كأنما حصلت على غنيمة كبرى بأن يكون حنفي حالة في رسالتها، واتجهت مباشرة لمكتبها وهي تتصفح الملف الذي بيدها، وتتمنى من كل قلبها أن توفق في مساعدته في وقته العصيب.

الاسم: حنفي السيد محمد

السن: ٣٨ سنة

الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول طفلين، توفي الأكبر منهما على يد والده بطريق الخطأ

المهنة: سائق درجه أولى

المحافظة: كفر الشيخ

التقرير المبدئي: صدمة وانهيار عصبي، تبعتها حالة من الاكتئاب الحاد والصمت التام والامتناع عن الطعام، ورفض التعامل بأي طريقة مع أي شخص حتى زوجته والأطباء خارج المستشفى على مدار أسبوع، والتقوقع التام حول نفسه، وتدهور عام في الصحة نتيجة سوء التغذية، وتدهور الحاله النفسية والعصبية، والصدمة التي مر بها نتيجة قتله ابنه دون قصد تحت عجلات مقطورته.

فورًا اتجهت حور للغرفة التي يقيم بها حنفي، وأخذت تراقبه من بعيد من خلال النافذة الزجاجية المقاومة للكسر لأكثر من نصف ساعة كاملة. لم يتحرك أو يحاول حتى أن يرفع رأسه أو يفتح عينيه. طرقت الباب ودخلت.

"حنفي.. أنا أستاذة حور، هبقى مسؤولة عنك وإنت هنا، عارفة إنك مش عايز تتكلم دلوقتي وفاهمة وجعك جدًا وحاسة بيه أوي، بس متجلدش نفسك كدا، اللي حصل دا مكانش ليك أي ذنب فيه، وربنا نفسه مش بيحاسبنا غير على الذنب المقصود المترتب اللي نوينا عليه وخططناه ونفذناه. هوِّن على نفسك، هعدي عليك بكرة أطمن عليك"

ونظرت للخارج عبر قضبان النافذة، وهمست بصوتٍ مسموع مقصود كأنها تحدث نفسها: "صدقني أنا كمان المفروض أتكلم، ومحتاجة جدًا حد يسمعني ويحس بوجعي أنا ويحيى ويزيد، مصيبتنا كبيرة إحنا كمان".

رمشت عينه رمشة خفيفة التقطتها عينها المدربة فتشجعت وأكملت قائلة له:

"يا ريت تاخد الدواء اللي الدكتور كتبه، هيحسنك وهيساعدك تبقى أفضل بكتير بسرعة". وتركته لفضوله وانصرفت لملاقاة شهد.

خاين

كانت حور متأنقة متألقة في انتظار شهد، في احتفالهما العشرين بذكرى صداقتهما. تشي الطاولة باحتفال هام سيجري عليها، من علبة هدايا وباقة زهور. شهد وحور في أكثر مكان تحبانه على البحر مباشرة، في مطعم بقلب الماء يداعبهم رذاذ الموج ورائحته المنعشة، والنوارس بجمالها ورشاقتها. يعانق البحر سماءً زرقاء تمتد أمامهما إلى ما لا نهاية الأفق. تكاد ترى السمك يلعب في الماء ويشاركهما جلستهما الناعمة. عن يمينهما قصر المنتزة بجماله الخلاب، وعن شمالهما قلعة قايتباي بعراقتها وصمودها. يحتضنهما سان ستيفانو بفخامته وحداثته. بعد الغداء ستكون المفاجأة الحقيقية التي أعدتها حور لشهد، حضور حفل عمر خيرت في مكتبة الإسكندرية، فالتجديد في كل شيء هو عصب الحياة وصلبها، هكذا هي حور تنأى عن المتعارف عليه والتقليدي، تحب المغامرة والتجديد بشرط أن يندرج تحت مظلة القيم والأخلاق.

تتهادى شهد مقبلة، تستقبلها حور وتحتضنها. عشرون عامًا

من الأخوَّة والصداقة مليئة بالضحكات والتنهيدات والدموع، والسعادة والأحزان والشقاء.

طلبت حور وشهد "مولتن كيك" بآيس كريم الفانيليا، يعشقان انصهار الشيكولاتة الداكنة الساخنة وذوبانها مع الآيس كريم الأبيض المثلج، "حاجة مشَكْلَتة" كما تقول شهد دومًا لرفع هرمون السعادة، وكوب إسبرسو دون سكر، فيتعادل الطعم ويتوازن، وهذا هو المطلوب في الحياة ككل.. التوازن، لا شدة الفرح والسعادة، ولا كثرة الحزن والهم والألم، لا إفراط ولا تفريط، هذا هو الدرس المستفاد بعد مرور سنوات وسنوات من العمر؛ ضحَّت فيه حور بالغالي والنفيس، من حب وجهد وعُمر ومال، ولم تلق إلا الجحود ونكران الجميل.

يذكِّرها المكان والهواء حولها والورود على الطاولة بهدايا وورود متبادلة بينها وبين ضياء، ومفاجآت شتى في كل وقت وحين، إذا ما فتح مكتبه وجد هدية كان يتمنى الحصول عليها، أو سافر سفرًا وجد ورقة مطوية بعناية تبثه فيها مشاعرها الدافئة الصادقة، أو هدية تصله في عمله، أو حفل مفاجئ مع زملائه في العمل للاحتفال معًا بأي مناسبة تهمهما، أو عودته من عمله فيجد ظلام المنزل يبدده ضوء الشموع ورائحة عطره المفضل تعبق الهواء، ووريقات الورود منثورة تحت قدميه مع تصاعد نغمات هادئة

تحتضنه فور مروره من باب البيت، باب واحد يفصله عن صخب الحياة وهمومها خارجه وينقله لجنته على الأرض عندما يعبره. كان هذا شغفها والأصل في حياتهما معًا، أن تسعده وتسعده ثم تسعده. كم من المرات حجزت فندقًا لقضاء عطلة لتجديد روتين الحياة، أو رتبت لرحلة غير متوقعة في موعدها أو مكانها لكسر الملل، لا يقف أمامها عائق يحول بينها وبين السعادة مع ضياء إلا وتتحايل عليه وتحظى بالسعادة والهناء مع حبيبها، حتى ولو بتمشية بسيطة على رمال البحر، وكوب دافئ من الشاي، وذرة مشوي تلهب مشاعرهما وتشعل ضحكاتهما.

"رحتي فين بس يا حور؟"

تسأل شهد هذا السؤال وهي تعرف جيدًا الإجابة، ثم تتبعه بسؤال آخر لتُخرج حور من الحالة التي تمر بها: "هتعملي إيه صحيح يا حور في الحالة اللي فاضلة وناوية تعملي عليها الماجستير؟ استقريتي على حالة معينة ولا لسه؟"

تنهدت حور وهي ترد على شهد: "تخيلي يا شهد مين عندنا في المستشفى؟ الراجل اللي قتل ابنه الأسبوع اللي فات. وطلبت إنه يبقى من ضمن الحالات بتاعتي في المناقشة، والحمد لله رب العالمين د. محمد وافق، وهبدأ شغل معاه من بكرة. ادعيلي ربنا يوفقني معاه يا رب وأقدر أساعده، صعبان عليَّا أوي بجد، شايل فوق طاقته.

الراجل دا قاتلني من ساعة الحادثة، وحاسة كدا إن ربنا يخليني أشوف الحادثة دي وهيّ بتحصل، وبعدين ييجي المستشفى اللي بشتغل فيها، فيه رسالة من ربنا بعد اللي جرالي أنا ويحيى ويزيد"

"أجمل حاجة بحبها فيكي حبك للناس ومساعدتهم يا حور، وإزاي عايزة تجنبيهم الألم والصدمة اللي مريتي بيهم وتخففيها عليهم، والحلو كمان إنك خليتي الألم والتجربة صنفرة لروحك يجلي من عليها الحزن والتعب، ويظهِر روح المغامرة والقوة بعد كسرتك، وإن ما فيش حاجة تخسريها بعد اللي حصل، وفعلًا بالوقت بدأت جوهرة روحك المدفونة بتجربة حزينة خرجتي منها خسرانة ومعندكيش ثقة في نفسك؛ في إنها ترجع تلمع تاني أحلى من الأول، فانتشلتي نفسك ونجاحك من قلب الفشل وحصدتي سعادتك من قلب قلقك وسهرك، وطلِعتي بالمنحة من قلب المحنة. وإنتي شايفة بنفسك اللي حاصل اليومين دول، الخيانة الفجة ومن غير أسباب، أو أسباب واهية ومش منطقية، زي مثلا حِجِة إنك طويلة أو بتسقعي في الشتا، أو اللي بيخونك معاها بتكتب تقارير بتعجبه في الشغل، أي كلام وخلاص، ومش مهم أطفال مجتمع كامل يتشردوا بسبب الهيافة، وقلة الضمير.

للأسف الشديد دي الموضة الجديدة و "الترند" بتاع اليومين دول، "ترند" الخيانة وعقوق الآباء لأبنائهم اللي مالي الدنيا

والمحاكم دلوقتي، نِسب الخيانة وهجر الأب البيت بقت فظيعة، وتعامل الآباء بعد الخيانة أفظع، كأن فيه تار بايت بين الأب وبين أم أولاده والأولاد، ظاهرة غريبة جدًا تخوِّف بجد، رغم إنه أخويا بس فعلًا ضيَّع مني الأمان، خلاني قلقانة دايمًا ومش مطمنة على ولادنا، وبقيت أشك في نفسي وفي كل حد بتعامل معاه، كلنا اتأذينا يا حور من اللي حصلك بسببه، بس خلاص اللي حصل حصل يا حور، اطلعي منه، بطلي بقى تبقي ديناصور في مشاعرك وأفكارك زي ما دايمًا نقول عليكي، الناس اللي زيك انقرضوا من زمان زي الديناصورات بالضبط، أرجوكي انسي.. انسي وساعدي نفسك والولاد يا حور، صدقيني ميستاهلش بعد كل اللي عمله"

"أنسى إيه ولا إيه بس يا شهد؟ أنسى إنه خاني ونسانا إحنا التلاتة ولا كأننا عدينا عليه في حياته عُمر بحاله عشناه سوا؟! أنسى درج مليان ذكريات وأشعار ورسايل كانت مالية البيت ملهاش أول من آخر سنين وسنين! أنسى إنه كان بيحب واحدة هو نفسه كان بيتكلم عليها أبشع الكلام! أنسى إني مكنتش بحكي لحد حاجة، حتى لأقرب الناس ليا أمي وأبويا عشان مزعلهمش، وأقول نزوة وهتعدي وهيرجع لبيته تاني، مينفعش أهز صورته قدام أي حد! أنسى البعد والجفا؟! أنسى إنه كان بينزل ٧ الصبح ييجي ١ بالليل من الشغل عشان كان بيبقى معاها؟! أنسى إنه كان بيعدي جنبي في

البيت يبعد بكتفه عني عشان ميخبطش في كتفي؟! أنسى إنه قال لي الولاد هيجرالهم إيه يعني لما أسيبهم؟! هيتربوا ويكبروا مش هيجرالهم حاجة! تخيلي!! أنسى رسايلها ليه الفجر اللي كلها فُجر "لأنك حد يهمني والشوق إليك هزني والبعد عنك هدني حبيت أقولك وحشتني" و"كل سنة وإنت طيب يا بيتيفورة حياتي"، ولَّا صور الدباديب والقلوب كأننا مراهقين!! ينفع دي تبقى رسايل وعلاقة بين اتنين زملاء في شغل! راجل وست؟ أنسى إنه كان بيسيب البيت بالشهور من غير سبب وينام في الفندق؟ أنسى العذاب اللي شفته على إيده والبيات في المستشفيات وهو ولا هنا؟! أنسى إنه طلقني في نفس يوم جوازنا بعد ١١ سنة جواز و٦ سنين خطوبة وكتب كتاب؟! أنسى إننا اتطلقنا من غير سبب أصلًا؟! أنسى إني زرعت حُبه في قلب ولادي بإيدي بكل طريقة ممكنة لأني كنت بختار لهم باباهم من قبل ما أعرفهم أصلًا، وأنا أول حد اتكوى باللي زرعته؟! أنسى الوعود عند الكعبة إنه هيحافظ علينا بعد ما سامحته مرة واتنين وتلاتة؟ أنسى إن اللي خاني معاها دخلت بيتي وأكلت على سفرتي؟ أنسى إن مامتها كانت بتكلمني في بيتي لما تعمل حاجة غلط تقولي عقليها ربنا يخليلك راجلك؟ بس الراجل اللي بجد ميخونش يا شهد، ولا واحدة تقدر تسرقه وتخطفه، لأنه راجل. أنسى إنه كان بيزعقلي ويقول لي إنتي بتعاملليني كويس ليه؟

المفروض متتعامليش معايا كدا؟! أنسى يحيى وهو بيقولي بابا سابنا في رعب وخوف فظيع وميعرفش خلانا نحس بإيه ونتعب ونتوجع إزاي؟ أنسى يزيد وهو بيرفع إيده الفجر للسماء ويصرخ ياااارب ساعدنا؟ أنسى إن كل يوم ولادي يناموا على كتفي دموعنا مغرقة هدومنا وهو بيعمل فرح وبيتسحب من حياتنا زيه زي المخدرات نفس الوجع والألم؟ أنسى إن يزيد كان عايز يغير اسمه ويبقى يزيد حور بدل من يزيد ضياء عشان سابه أيام ما كان لسه بيتعلم يكتب؟ أنسى إنه يتِّم ولاده وحرمهم منه وهو عايش؟ أنسى الجلسات والأدوية اللي أخدتها عشان أبقى كويسة؟ أنسى التعب اللي عشته والألم واللخبطة والتوهان والسؤال اللي هيجنني، هو أنا صح ولا غلط؟ عملت كل الممكن عشانه وعشان بيتي وفي الآخر دا الجزاء اللي لقيته! أنسى إني كنت بقول له لو ربنا أمر الزوجة تسجد لزوجها كنت هبقى أكتر الزوجات سعادة في الدنيا؟ أنسى كل ذكرياتنا الحلوة في كل مكان في مصر؟ أنسى إني من يوم ما عرفته لغاية ما اتطلقنا محصلش بينا ولا مشكلة واحدة؟! تخيلي!! ولا مشكلة واحدة بس، كنت بتمنى يبقى نِفسه في أي حاجة عشان أحققها له قبل حتى ما يطلب، أنسى إن بابا بيسأله وقت الطلاق قدام الناس "حور زعلتك في إيه؟ قصرت في إيه وعايز تطلق ليه؟" يرد يقول "ولاااا أي حاجة، حور أحسن زوجه في الدنيا كلها بس أنا مش عايزها"؟! المكان

هنا يا شهد لو ينطق يحكي ويقول. أنسى إيه بس يا شهد أنسى إيه؟!! أنسى الكلام اللي بيكتبه يحيى ويزيد في مُذكراتهم والحزن والوجع اللي هما فيه بسببه؟ أنسى إنه مش بياخدهم أي مناسبة في العيلة عندكم عشان ملوش لازمة يروحوا خالص على كلامه؟! تخيلي!! بيقول كدا فعلًا، المهم الخاينة تروح، وأولاوده صُلبه مش فارقين معاه! أنسى إن سندهم اللي مفروض ساندهم.. سَنَد عليهم بتقله شرّحهم وشرخهم وكسرهم، بدِّل دوره بدور الدنيا، قام بالواجب كتر خيره! أنسى إنه بعد ما سابنا بسنة وكان عايز يرجع مرفضتش واديته فرصة يصلح غلطه وقال للولاد إنه هيرجع لنا وبعد ما حددنا يوم كتب الكتاب خلاص رجع في كلامه وقال مش قادر أرجع حياتي القديمه تاني؟!! وكسر بخاطر يحيى ويزيد، رغم إني مطلبتش منه حتى يطلق اللي كانت السبب في خراب البيت؟ أنسى إن بعدها بسنة قعد يتحايل سنة كاملة بحالها إنه يرجع، وحتى رسايله ليَّا وليكو كلكو عشان توصلوهالي مكنتش برد عليها أصلًا، ولما اتكلمنا وقال لي "الواحد بيكبر وبيتعلم من أخطائه واقبح حاجة عملتها في حياتي السنة اللي فاتت لما قلت هرجعلكم ومرجعتش، وأنا عايز أرجع أعوضك إنتي والولاد عن اللي عملته"، وساعتها مراته كلمتني على الموبيل تقولي إنها معملتش حاجة وملهاش أي ذنب وعادي جدًا تاخد واحد متجوز من مراته

وولاده إيه المشكلة؟! هو اللي عايز كدا!!- كأنها اتجوزت بالغصب مثلًا -!! "ولو عايزة ترجعي لضياء ارجعي له وأنا هتطلق"، مرض بعيد عنك، دي هواية كدا عند بعض الستات المرضى، شيء جميل بالنسبة لهم إنه يختارها ويفضلها على مراته، وإنها بتشوف قهرتها لمراته ووولاده بعينها إنجاز كبير!! وإنها بتحس بقيمتها ونفسها كدا، رغم إنها لو حد خد منها ورقة ولا معلومة تكتب حسبي الله ونعم الوكيل ومش مسامحة!! أمال اللي سرقت حياة بني آدمين وهدت بيتهم وخربته يتقال عليها إيه؟ حسبي الله ونعم الوكيل عليها ليوم الدين. من يوم ما عرفوا بعض في الفندق الجديد اللي لسه بيبنوه سوا دا وحياتنا اتقلبت رأسًا على عقب، منهم لله. ولما وافقت أرجع له بضغط من الولاد بعد سنة كاملة محايلة منه وكتبنا الكتاب، قعد ضيف في البيت عشر أيام وطلق تاني من غير ولا سبب برضو، غير "مش قادر أعيش معاكوا"!! بكل عنجهية وسوء أخلاق، كأن بيوت الناس لعبة والدخول والخروج منها كدا بالساهل. إحنا عايشين يا شهد في حياة كل شوية تضطرك تفتكري اللي فات لأسباب كتير، كل شوية موقف يرجعك غصب عنك لللي فات، لو طلاق من غير أطفال كان الموضوع انتهى من زمان أوي أوي، لكن المشكلة في الأولاد، بيتعذبوا بالعلاقة اللي فجأة بيلاقوا نفسهم فيها بين الأب والأم، وخاصة لو حياتهم كانت مستقرة وجميلة واتقلبت لو طرف

استهان بمشاعرهم ومخدش باله منها ولا اهتم بيها وتجاهلها، وهي دي أصعب حاجة، العقوق اللي بنسقيه لولادنا سواء في القرب أو بعد البُعد. أنسى إزاي بس قولي لي إزاي؟! وإنتي عارفة اللي افتكرته دلوقتي دا نقطة في بحر من اللي حصل، كل حاجة حصلت على إيدك وقدامك.

أنا تعبت، تعبت أوي أوي عشان أوصل للحظة دي دلوقتي وأنا لسه عقلي معايا. عارفة يا شهد نفسي في إيه؟؟ نفسي أفهم نفسية الخاينين بتبقى عاملة إزاي وأعمل دراسات على الخيانة، زي الدراسات اللي بتتعمل في علم نفس الأزمات أو التجمعات والزحام، علم يدرس سيكلوجيات الخائنين والخائنات. اللي أعرفه في قصص الزواج والارتباط الطبيعية بتكون الذكريات جميلة ولطيفة، تشفي القلب والخاطر وتملاه بهجة وفرح، وبنحافظ عليها تراث طول حياتنا ونحب نورثه كمان، لكن في حالات الخيانة إيه المنطق؟؟ هل بيبتروا ذكرياتهم عشان ميحسوش بنقصهم ودنائتهم؟؟ وإزاي ذكرياتهم بتبقى كاملة بالنقص دا؟ إيه تاريخهم؟ إزاي بيحكوا حكايتهم بعد مرور سنين لنفسهم قبل الناس؟ إزاي بيظهروا بالقبح دا قدام أطفالهم؟ إزاي بيبتسموا وهما بيذكروا ماضيهم القذر الملوث بالكذب والتدليس والخراب؟ إيه التكنيك اللي بيتبعوه عشان يكملوا حياتهم المدمِّرة لحيوات آخرين كانوا حبات الفؤاد؟ إزاي بيتعاملوا

مع الموت والخراب اللي خلّفوه وراهم؟ إزاي بيمروا بالماضي وإزاي الماضي بيمر عليهم؟ من لحن مدمم أو مكان مهجور منهم؟ أو كلمات بقت ترثيهم بدل ما تجمعهم؟ لما يعدي على مدينة ملاهي بقت خاوية على عروشها من ضحكات ولاده، أو مستشفى فاضية من مخاوفهم وآلامهم؟ أو مدينة كاملة اتحرمت زيارتهم وفرحتهم فيها؟ إزاي يبرر إنه بنفسه هدم جسر المحبة والوصل معهم، وعَبِّد معبر بينهم وبينه فوق أنفاق مهدمة منهارة مليانة بالقيح والصديد، نفقت فيها حياتهم؟! فعلًا مش بني آدمين الخاينين.

التجربة دي يا شهد علمتني حاجات كتير أوي، بصعوبة فظيعة وطلوع روحي، نفسي أنقل خلاصتها للناس عشان يبقوا عارفين عواقبها من غير ما يتوجعوا، كأنهم بيشربوا عصير كوكتيل طبيعي مش مسكر، بدل ما ياخدوا دواء مُر علقم، ويستفيدوا من خبرات مرت بغيرهم. نفسي أقول لكل بنت ثقي في نفسك واطمني كل حاجة هتعدي على خير لو اتحطيتي في الموقف دا، بس متموِّتيش نفسك، خدي وقتك في الحزن وقومي، واتمسكي بالأمل في الحياة من جديد، الكون كله منتظرك، خلي هدفك نفسك والولاد وكل حاجة هتيجي بعد كدا على مهلها، و"عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم". نفسي كل أب ينتبه لخطوات الشيطان، وإنه يحس إن ابنه بني آدم مش جماد، محتاج رعاية شديدة عشان يكبر وينمو صح في

جو صحي، وإنه مش زرعة شيطانية هتكبر لوحدها من غير ما حد يرعاها، وإن الزمن دا صعب جدًا جدًا في التربية، ومش الأم بس هيَّ اللي بتربي، لاااا دا اليوتيوب والكارتون والأفلام والأغاني وحتى ألعاب البلايستيشن بتربي معاها، ودي في حد ذاتها كارثة بتغير في الأفكار والقناعات بطريقة رهيبة وغير مباشرة، زي السحر بالضبط، من غير ما حد يحس بيها ولا يشوفها، والمفروض دور الأب يبقى واضح وأقوى مع الأم، إيديهم في إيدين بعض عشان يعدوا بالولاد لبر الأمان، مش يسيبها لوحدها مع الولاد قصاد كل التحديات دي، لازم عينه تبقى متابعة، وصوته الرجولي يبقى موجود، يعلِّم ويحتوي ويحب ويدعم، ويبقى قدوة ومثل مشرِّف لهم، لغاية ما تتكون الأفكار والقناعات الصح عند الأطفال، ويوصلوا للنضج الكافي إنهم يميزوا ويفهموا، مش إننا نزود عليهم تحديات فوق التحديات الموجودة بالفعل، عشان الخراب والخيانة أساس قبيح عُمره ما يعمر بيت، لازم هيتخرب، أو هيبقى الخاين مجبر يعيش حياة كاملة شكلًا، لكنها خاوية خربانة في الحقيقه، لمجرد بس يثبت إنه صح، ويبقى منظره قدام الناس تمام وزي الفل، وعِند مع نفسه قبل أي حد تاني، وهو الوحيد اللي هيشيل عبء حياة قاتلة بالشكل دا. نفسي يعرف لما بيتخلى عن ولاده بيقتلهم معنويًا ونفسيًا، ودا زيه زي القتل الحقيقي بالضبط،

وأسوأ كمان لأن بيخلي الطفل عايش ميت، وإن دورك في الحياة مش ترميلهم شوية الفلوس اللي ما تفتحش بيت أساسًا، فين دورك كأب معاهم؟ خلي بالك الولاء يُربَّى بعمر وعمل، ويُنسف ويذهب سُدى بلحظة طيش، متبقاش قاسي أوي عليهم، فالهدم أسرع بكتير من البناء، هما ملهمش ذنب وإحنا أدوارنا بتتبدل في الحياة بسرعة رهيبة، والعمر قصير، النهارده هما محتاجينك بكرة إنت محتاجلهم. عايزة أقول لكل بنت بتفكر تخون.. ما بُني على باطل فهو باطل ويفتقد البركة، متبرريش، إنتي مش بريئة متضحكيش على نفسك، مترضيش لغيرك باللي مترضيهوش لنفسك لما تعملي بيت وهترفضيه لبيتك بكل قوة ومش هتلاقيله مبرر بعد كدا، وبكرة تشوفي لو جربتي، فكري كدا شوية، ليه يعني تهدي بيت بحاله!! وتخربيه وتشردي الولاد اللي فيه!! وتحرميهم من أبوهم!! وتشيلي ذنبهم العمر كله!! قوليلي كسبتي إيه زيادة يعني؟! نفسي الأهل ما يرتضوش لزوجات أبنائهم ما لا يرتضوه لبناتهم، ويصونوا أحفادهم من التشتت والضياع، وأهم حاجة للناس في المجتمع متحللش لغيرك وترضى له باللي ترفضه ليك، حطوا نفسكم دايمًا مكان غيركم، وحِب لأخيك ما تحب لنفسك، وما تباركش لأب بيقتل ولاده آلآف المرات كل يوم ويتيمهم وهو لسه عايش، ومتظلمش بنظرة قاصرة بدون تحري الدقة سواء لرجل أو امرأة.

وكله كوم والشيوخ كوم تاني.. أرجوكم أرجوكم اسمعوا من الطرفين كويس، وضروري قدام بعض قبل ما تقولوا أي كلمة انتوا مش عارفين حقيقتها هتتحاسبوا عليها. ولأهل أي حد اتعرض لخيانة ووجع.. استحملوه شوية في وجعه والتعبير عنه، رغم الوجع اللي بتحسوه هو وجعه بيتقاس بمقياس مختلف تمامًا من كتر عمقه. وللدكاترة النفسيين و"اللايف كوتش".. ما تطبطبوش أوي وما تدبحوش، وخلوا الحلول عملية واضحة بخطوات محددة وفي وقتها الصح. ولكل الصحاب.. بلاش كل شوية الكلام بتاع "إحنا قلنا لك، لو كنت عملت، أنا لو مكانك"، الكلام دا يبقى من بره الموقف، الحقيقة من جوه أصعب بكتير أوي. وللأطفال اللي فجأة بيلاقوا نفسهم في الموقف دا بين أبوهم وأمهم.. متفقدوش الثقة بنفسكم، ارفعوا راسكم، انتوا كاملين، أقوياء ومحترمين ومش ناقصكم أي حاجة وما فيكمش عيب، واللي حصل لو استثمرتوه صح أكيد هيبقى في مكسب كبير في خبراتكم وحياتكم على المدى البعيد مع أولادكم وأسركم.

عارفة يا شهد.. إحنا حظنا حلو إننا موجودين في زمن كله متراقب بكاميرات صوت وصورة في كل مكان، فاهمين جدًا ثقافة المراقبة والمتابعة، لو كلنا استشعرنا مراقبة ربنا لينا في كل أفعالنا في كل لحظة ونَفَس بناخده هتبقى تصرفاتنا مختلفة تمامًا، وخاصة

مراقبة ربنا لينا داخليًا كمان حتى على نوايانا، دي حاجة في حد ذاتها كفيلة تخلينا نراعي كل شيء بنعمله في كل وقت، وبيقرب لنا جدًا صورة إن كل فعل بنعمله متسجل فيديو داخليًا جوه نفوسنا قبل خارجيًا ليوم الدين"

تنهدت حور بحرقة واستأذنت شهد لتذهب لتغسل وجهها لكي لا تؤلم صديقتها بألمها ولا تفسد مناسبتها السعيدة. سرحت بخيالها وشردت بعيدًا أمام المرآة لبداية النهاية مع ذكرياتها، أخذت تتذكر يوم المصارحة القاتل، وكيف كان القلق ينهشها والخوف يستبد بها؛ بعد لحظات ستتكشف الحقيقة ويُزاح الستار على هذه التغيرات الجذرية غير المسبَّبة لضياء منذ فترة طويلة. تحس بحدسها كأنثى أن الأمر جلل، لطالما سألت ضياء عن السبب، هل ضجرت حبيبي من العمل؟ هل تواجه مشكلات ولا تريد مضايقتي بمعرفتها؟ هل تريد السفر مرة أخرى لتحسين دخلنا؟ ولكننا جميعًا لم نتحمل البعد عندما سافرت من عامين، فعدت بعد شهرين فقط من سفرك، ويشهد سُلم المنزل كيف قفزت أنا ويحيى ويزيد عليك لنحتضنك ونعانقك وكدنا نسقط معًا عليه لتدافعنا وثقلنا عليك وعدم توازننا، اخترنا القرب على المال. هل تطاردك ديون لا أعلم عنها شيئًا؟ هل أنت مريض بمرض خطير ولا تحب أن تشركني معك في ألمك؟ وتأتي دومًا الإجابة بـ"لا" لتزيد الحيرة والغموض:

هل هناك أخرى؟ هل وقعتَ في الزلل؟ وتكون السخرية المريرة هي الرد في كل مرة. تطمئن نفسها أن لا تخافي وقَرِّي عينًا، ليس الأمر بالجلل، وتكاد تكون متيقنة من الإجابة على سؤالها، وتعرف أيضًا المعنية بالأمر، ولكنها تكذِّب نفسها وتؤجل معرفة الحقيقة وتتغاضى عنها بضعة أيام ليس إلّا.

ولكن ضياء وعدها اليوم أنه سيخبرها سبب ما طرأ عليه وألمَّ به من تغيُّر، وها هي تنتظره على أحر من الجمر لتعرف السبب في هذا التأخير المبالغ فيه خارج المنزل يوميًا، والسفر الكثير دون داعٍ، والمعاملة السيئة غير المبررة بالمرة، والصمت التام والتشتت والسرحان الدائم والضيق، والبعد عنها وعن يحيى ويزيد نور عينيه. ستعرف سبب تقصيره في كل شيء يحتاجه المنزل، أخيرًا ستعرف السر في هذا الإعصار الذي يجتاح المنزل بلا أي مبرر. عام كامل يخفي سيفه بغمده خلف ظهره. بابتسامة صفراء فاقع لونها، يجز على أسنانه وهو يتكلم، لتخرج كلماته تكتسي بالبراءة الكاذبة، دون مشاعر، نقَّحها من كل غضبٍ وغلٍّ ظاهر وضيق، ليخرج حروفًا تمثل الوداعة والاتزان وتخفي البغض والكره والعداوة والشحناء، هذا إحساسها منذ عام كامل مضى.

انتهت حور من تحضير الطعام وهيأت المنزل وتركت يحيى ويزيد مع سما، لا تريد أن تشتت ضياء أثناء الحديث، وأن يكون

جلّ اهتمامها منصبًّا عليه فتهتم به أيما اهتمام كعهدها دائمًا معه.

أخيرًا طرق الباب ودخل يركبه الهم والتوتر. استقبلته بشوقٍ حقيقيّ رغم ارتباكها، وابتسمت ابتسامة هادئة لتمنحه الراحة والهدوء، وتطمئنه دون أن تنطق أنها مستعدة للنهاية لسماع ما يود قوله مهما كان.

أخذ وقته ووقتًا فوق وقته، كانت تحترق ببطء كحرق إشعاعي يبدأ من الداخل، لا يظهر مدى تدميره وسوء تأثيره في الخارج، ولكنها رغم ذلك لم تضغط عليه، يعلمان معًا أن وقت المكاشفة قد حان. كان الهلع يجري منها مجرى الدم، تستحلف الدقائق أن تمر وتأتي بما وراءها، وفي ذات الوقت تتوسل إليها ألا تتحرك وتأتي بما لا تود سماعه، وبسببه قد لا تعود الحياة كما كانت مرة أخرى ولا ترجع لسابق عهدها.

ها هو سيتكلم بعد تنهيدات حارقة وعيون زائغة تائهة، ماذا ألمَّ بكَ؟ ما الذي يحدث؟ قصَّ عليّ. لن أطيل على كلينا الأمر أكثر من ذلك، هناك أخرى. توقف الزمن وتجمدت الابتسامة على شفتيها وصمتت دقات قلبها. أخرستها الصدمة التي كان قلبها يعرفها، ولكنها لن تنبس ببنت شفّة، ولن تأتي بأي رد فعل ليُكمل ما يقول. كان ألمه يمزقها وهي ترى حيرته وعجزه، تسأله: أهي هي؟ أليس كذلك؟ نعم هي.

ضحكت ضحكة مريرة بلهاء، بالتأكيد هي، كان يتبقى فقط أن تسمعها منه. صمتت وعلا صوت تنفسه، وسيطر على المكان خدر الصدمة، وبعد برهة ليست بالقصيرة سألته لماذا؟ ردّ عليها: لا يوجد أي سبب. عادت فسألته: ثم ماذا؟ نطق ليزيد الطين بلَّة: لا أعلم ماذا أفعل، أنا عاجز عن التفكير واتخاذ قرار.

قرار! بأي شأن هذا القرار العاجز عن اتخاذه يا ترى؟ أريدها.. أحبها وتبادلني حبًا بحب. ألا ترين حالي؟ لقد أعياني وأهلكني التمزق بينكما، أحس أني خرجت من نفسي وضاع مني الطريق وسقطت في مستنقع قذر أطبق عليّ، لا أستطيع الفكاك منه، ولا أستطيع العودة إلى نفسي مرة أخرى.. أليس هذا حبًا؟. يا إلهي! باسم الحب خانوا وباعوا، وباسم الحب هدموا واستعذبوا عذاب غيرهم وتخريب حياته، وباسم الحب دمروا، والحب منهم براء، الحب تضحية، بناء، وفاء وفداء.

عاجلها بضربة قاضية، أريد أن أتزوجها. بُهتت: تتزوجها؟ أهكذا بكل بساطة تبرر وتحلل الخيانة؟ وماذا عنَّا؟ ماذا عن يحيى ويزيد؟ ما الذي سوف يحدث لهما؟

ما الذي سوف يحدث لهما؟ ستربيهما وسيكبران، لن يحدث لهما شيء. ماذا عني أنا؟ أنا الضائع بين حياة أحياها وحياة أريد أن أحياها.

تبعثرها كلماته، تذبحها، ضعفه يقتلها ويخبرها أن عهدهما معًا ولّى وانقضى ولن يعود لسابق عهده. ولكنها تفكر في يحيى ويزيد، في تعبها العام الماضي بأكمله وحيرتها فيما أصابه، تتذكر اجتهادها وسعيها على مر العام المنصرم للبحث عن حل لتغيُّره غير المبرر، وذهابها لمراكز الاستشارات الأسرية والأخصائيين النفسيين و"اللايف كوتش"، لحضور استشارات لتفادي حدوث المصيبة الحالية، ولتفهم ما يمر به وأفضل طريقة تعامل معه في هذا الوقت. لم تتهاون في حق منزلها، تحاول حمايته والحفاظ عليه بكل طريقة ممكنة من انجرافه في هذا التيار وغرقه وهدمه، لدرجة أن هدى الاستشارية الأسرية أصبحت صديقتها من كثرة ترددها عليها ومحادثتها في هذه السنة العصيبة، وإخفائها كل ما يحدث عن والديها لكي لا تكبر المشاكل، فهي تؤمن أن أفضل حل للمشاكل ألا تخرج من باب المنزل. هل يُعقل أن يذهب مجهودها المضني ووقتها ومالها هباءً؟ أن يُشرد طفلاها؟ أن تذهب كل الاسشارات والدورات التدريبية في كل جوانب الزواج وتربية الأطفال لدعم منزلها أدراج الرياح؟! تؤمن أنها أحسنت بكل ما أوتيت من قوة وعلى قدر استطاعتها، و"أن الله لا يضيع أجر المحسنين"، وأن ما يحدث الآن شرٌ باطنه خيرٌ مستتر، ولكنها لا تفهمه وتطلب من الله أن يتضح لها وتفهمه وتتحمله. ستكمل ما تفعله، ستكمل هدوءها

وستتحلى بالصبر والعقل والرزانة على تصرفاته، هي نزوة، نعم نزوة وأزمة منتصف العمر، وستعبر لا بُدَّ أن تعبر. لن تخطئ للمحافظة على البيت، ستفوت الفرصة على هذه الشيطانة حتى لا تتمكن من هدم بيتها. قطع حبل أفكارها وهو يقول لها ثانيةً: أريد أن أتزوجها وأحيي السنَّة.

لله درَّك يا رجل!! ما أروع إحساسك! اسأل رجالًا بلغوا الأربعين والخمسين عن وقع تنصل والدهم من مسؤلياتهم وهم أطفال، وشاهد رد فِعله عليهم حتى عندما بلغوا المشيب، لتعرف أن هناك أخطاءً تظل علامات بارزة ومؤثرة في طريق الحياة، لا تسقط بالتقادم مهما مرَّ عليها من وقت وعمر. ليتني أصدق أنها إحياء للسنَّة، تريد أن تحييها؟ فلتُحيِها بتحملك مسئولية تربية أولادك والاهتمام بهم وبهمومهم، وكفايتهم وتلبية كل احتياجاتهم المعنوية قبل المادية، فلتُحيِها بصلاة الفجر في وقتها وأداء الصلوات في المسجد، فلتحيِها بصلاة السُنن ومعاملة طيبة يرضاها الله لزوجتك التي لم تر منها إلا الخير، لدرجة أن سمّاها المقربون منكم "جوهرة حظك"، فتهتم بها وبمشاعرها، فالأقربون أولى بالمعروف. فلتُحيِها أحيِّيك وبشدة، ولكن بالقيام بفروضك وواجباتك الحقيقية ورعاية رعيتك، وإذا كان هناك فائض من مال ووقت فلتذهب لدور الأيتام، وتأخذ معك أولادك وتعلمهم الإيثار والعطاء وتأخذ

ثوابًا مضاعفًا، أو تساعد معدمًا على الزواج وتستره هو ومن يختارها زوجة له، وتهبه حياةً مستقرةً، "ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا"، أو فلتكن رجلًا وتقولها عالية "أنا طماع وأناني، أريد كل شيء، ولا أبالي أن أترك بيتي وأطفالي في أكثر أوقاتهم احتياجًا لي، وأهجر زوجة كرَّست حياتها وحبها لي وقامت بالمستحيل من أجلي، لأختار لنفسي حياةً أخرى على أنقاض حياتهم وحسابهم". أرجوك لا تدخل الشرع والسنّة في اتهام هما منه براء، كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

كُن شجاعًا وقلها أنا أتخلى ولا تتحلى، فشرع الله النظيف الطيب لا يقبل إلا الطيب الذي لم يلوَّث بخيانة وغدر وعلاقة آثمة.

نطقت عيناها بما تريد قوله وما دار بخلدها، ولكن هدفها أكبر. صمتت وصمتت، أخذت قرارًا ببداية المقاومة والمحاربة على حياتها وحياة أولادها وأحلامها وبيتها، أن تكون نفسها أكثر وأكثر، وتدفع الغالي والنفيس من أعصابها وذهنها وتزيد العطاء والاحتواء لدفع هذه الكارثة بعيدًا عن حياتها وأسرتها. هكذا قررت، فقامت تغالب قهرها لتربِّت على كتفه وتبتسم له بحب وهي تحتضن وجهه بكفيها. أحست بقلبه يتعذب، غلبت عليها أمومتها وحبها له، لطالما قال لها سابقًا "أنت أكثر من أحبني في الدنيا، حبك يتساوى ويزيد على حب أمي لي".

هالـه تصرفهـا ومنظرهـا في تلـك اللحظـة؛ كانـت تترنـح أمامـه، ورغـم ذلـك تحتويـه وتقـدم لـه مـا يحتاجـه مـن دعـم. لم يتحمـل دونيتـه، أبعـد يدهـا بـكل قـوة وهـو يـصرخ هائجًـا: مـاذا بـك؟ لمـاذا تقومـين بـما تفعلـين؟ أنـا بحالـة ممتـازة، لسـت مريضًـا أو مجنونًـا أو طفـلًا صغـيرًا لتتعامـلي معـي بهـذه الطريقـة. أنـتِ مجنونـة حتـمًا لتتعاطـي معـي بهـذا الأسـلوب.

هـبَّ واقفًـا بجنـون، يرتـدي ملابسـه المخصصـة للجـري بسرعـة فائقـة، وأغلـق بـاب المنـزل خلفـه بـكل قـوة. هُنـا سـقطت حـور أرضًـا وهـي تنتحـب بصـوتٍ عـالٍ يبلـغ عنـان السـماء. بلـغ منهـا الحـزن مبلغـه، يضربهـا في مقتـل، يقطِّـع أوصالهـا ويهتِّـك شرايينهـا ويمـزِّق بأنيابـه الشرسـة أوتارهـا. الألم يكـوي كيانهـا المبعثـر ويسـلخ روحهـا رويـدًا رويـدًا، لا رغبـة لهـا في هـذه الحيـاة، تريـد الخـلاص، لا طاقـة لهـا عـلى الاحتـمال.

تتعـرض لقـدر قـد يمحوهـا مـن الوجـود، أو يصنـع قوتهـا ونصرهـا، وهنـا عليهـا الاختيـار في الاختبـار.

عَمِـل عقلُهـا بسرعـة خرافيـة للخـروج بحـل لهـذه الكبـوة الفجائيـة والمتوقعـة في ذات الوقـت، والتـي كانـت تبحـث عـن حلهـا منـذ شـهور طويلـة، لكـي لا تنفجـر في وجههـا كقنبلـة انشـطارية كـما حـدث للتـو.

زحفت حور لهاتفها وأخبرت هدى بانهيار تام بتطور الأحداث، ترجوها أن تخبرها عن التصرف السليم وهي تصرخ.

"شفتي يا هدى! شفتي كلامي وإحساسي طلع صح إزاي، من ساعة ما عرفها واشتغل معاها في الفندق اللي بيعملوه سوا، كترت أوي سفرياتهم مع بعض، والسندويتشات اللي لازم تجيبهاله كل يوم معاها، وأنا أتحايل عليه من يوم ما اتجوزنا يفطر في البيت ولَّا أعمل له سندويتشات يقول لي "هو أنا طالب في مدرسة؟" ويضحك وينزل. وحكاويها اللي مبتخلصش ومشاكلها اللي كل شوية تروح تحكيها له وتعيط، هو دا اسمه شغل برضو؟ ولَّا اسمه إيه؟ فاكرة لما لقيت في العربية علبة فيها دبلة وميدالية عليها أول حرف من اسمها؟ فاكرة لما شفت في شنطته توكة شعر مش بتاعتي وشامبو؟ دي حاجات راجل يمشي بيها في شنطة شغله؟! وفاكرة لما كانت بتبعتله رسايل الفجر وتكلمه ويقوم من النوم يرد عليها؟ فاكرة إزاي كانت بتطلع حجج في الأول عشان يخرج معاها وتجيب رجله؟

مرة تعالى معايا أشتري هدية لأخويا عشان مش بعرف أشتري هدايا لوحدي، ومرة تانية هروح عيد ميلاد في حتة بعيد تعالى وصلني. شايفة الأسلوب والطريقة القذرة، وأنا كنت واثقة فيه، وعمري ما قلت له كلمة واحدة تضايقه، وعمري ما عملت له مشكلة؛ أصله تعبان في الشغل، بلاش يبقى تعبان في البيت كمان،

خلي البيت واحة الحب والسلام. كنت متأكدة من عقله وإنه هيحافظ علينا"

أخذت هدى تهدِّئ من روعها وانفعالها، وهي تشرح لها أنه اتبع هواه وما زيَّنه له شيطانه مع ما زيَّنته له حية رقطاء، وانزلق في طريق خطوات الشيطان. وطلبت هدى من حور التحلي بالهدوء قدر المستطاع، وعدم تصعيد الموقف، والتكتم عليه وحفظ سره، والتعبير بعقل ورزانة عما يجيش في صدرها لتصل لحل سليم يحفظ بيتها وزوجها على قدر الإمكان.

كبتت حور انفعالاتها وقتلت آلامها وابتلعت دموعها وهي تنتظره، تتجمع الكلمات في عقلها وتموت وتتشتت قبل أن تصل إلى شفتيها.

لا يوجد وصف لما يحدث، تشعر أنها لو تركت نفسها تصطدم بالحائط لكسرته وعبرت من خلاله للجهة الأخرى. فجأة صُبغ العالم حولها بالأسود القاتم، رغم جمال ألوان منزلها المبهجة حولها. تحس أن القطار المار بجوار منزلها مرَّ عليها شخصيًا ودكها دكًّا قبل أن يبتعد.

لم تدرِ بالوقت إلا والباب يُفتح ويدخل ضياء بوجه مظلم متبلد لا يحمل أي انفعالات. لقد ارتدى القناع الذي يرتديه منذ عام

مضى مرة أخرى، أخرج كل طاقته وشحنته في الجري على الشاطئ، كما يحب أن يفعل كلما ضايقه أو شغله أمر أو فكرة ما.

"أريد أن أتناول الغداء"

كالإنسان الآلي توجهت لتقديم الطعام، جلس يأكل بشهية مفتوحة ونهم شديد، كأنه تخلص من حمل كالجبال وألقاه فوق عاتقها، وهي كتمثال متحجر لا تقوى حتى على التنفس. لم ترفع يدها حتى لتتناول الملعقة. "لِمَ لا تأكلين؟؟"، تاهت في نظراته وعينيه الزجاجيتين الميتتين اللتين كانتا مصدرًا للأمان، أمسكت بالملعقة، حاولت أن تأكل ليمر الموقف بأقل خسائر ويستمر الحوار بينهما. وضعت الملعقة على فمها فامتزجت دموعها بالطعام. لم تستطع البلع، وأصابتها نوبة هستيرية من البكاء. قامت تتكئ على الحائط لتفرغ ما في جوفها من نار متقدة وأنفاس محترقة غلَّفت قلبها بحمم بركانية لا قبل لها بها ولا بمجابهتها. تداخلت في رأسها كل الخيوط فكونت شبكة أعقد من أن تحل، من أحاسيس متضاربة وأفكار وهواجس مختلطة بعد المعاناة التي عانتها وما زالت تعانيها، بعد كل ما قدمته وما زالت تقدمه، وهي تتساءل بذهول وبلا أدني أمل في إجابة شافية، من هذا الشخص يا ترى؟؟ من هذا الشخص يا إلهي؟ هي في كابوس ولا بُدَّ ستستيقظ منه الآن.

ثلاث سنوات مريرة مرَّت بعد ذلك، زاد فيها الظلم والقهر، زاد فيها الاستنزاف والغدر والكذب والخيانة، زاد فيها النفور والبُغض، وزادت فيها حور العطاء والتضحية والتفوق على نفسها والاحتمال وكبح جماح نفسها وغصبها وحزنها. ثلاث سنوات كاملة، زادت فيها الخيانة حتى وصلت رائحتها التي تزكم الأنوف لعنان السماء، وأصبحت الفضيحة لا تخفى على أحد، مهما حاولت حور التكتم عليها لحفظ ماء وجهه وحفظ سره وستره.

يرفض حور ويُبعدها طالما كانت علاقته مع "الحرامية خطافة الأزواج" - كما سمَّاها يزيد - جيدة، ويتعامل معها بشكل شبه عادي كلما رفضته ونبذته "شيطانة الإنس" لتزيد تعلقه بها - كما سمَّاها يحيى - فيندم ويتأسف ويبكي، ويسافر مع حور عُمرة يعاهدها فيها على نظافة القلب والعودة لسابق العهد، ولكن من ذاقت طعم تفريق الأسر وهدم البيوت لا تتركه لحال سبيله، ولا تأخذها شفقة ولا رحمة بصغاره، مريضة تستمتع وتتفاخر بأنها السبب في عذاب الآخرين، وتجد قيمتها في سرقة البيوت الآمنة وزلزلة استقرارها وزعزعة ثباتها، وتقيم الليالي الملاح على أشلائها. تختار الضحية الضعيفة المناسبة، وتهاجم بخسَّة وبأساليب وضيعة؛ تستدعيه برسالة على هاتفه وترميه بطول ذراعها إذا شعرت بتململه، فيعود ويقدم فروض الولاء والطاعة عند قدميها.

سـمَّما بخيانتهـما وتصرفاتهـما حيـاة الكبـار، وضيَّعـا معًـا مسـتقبل وأمـن الصغـار.

أخـيرًا يستسـلم ويقبـل بشروطهـا لينـال القـرب منهـا، وأول هـذه الـشروط قطـع صلتـه بماضيـه المتمثـل في حـور ويحيـى ويزيـد.

تدهـورٌ وكِـبرٌ وعِنـدٌ، ومغـادرة دائمـة للمنـزل دون أي أسـباب. ينـزل صباحًـا للعمـل ولا يعـود، كل مـا يحملـه معـه مجـرد شـاحن هاتفـه المحمـول. غلـق لـكل قنـوات الاتصـال بينـه وبـين زوجتـه، وتصعيـد للموقـف للوصـول لطريـق مغلـق بـلا رجعـة، لتحديـد موعـد مـع المحامـي لإسـدال سـتار النهايـة الأسـود عـلى حيـاة كانـت عامـرة بـما حسُـن وطـاب مـن أرق المشـاعر وأجمـل الأحاسـيس بـلا رجعـه ليحـدد موعـدًا للطـلاق.

طالق

وصل الطريق لآخره، حانت لحظة الفراق، لحظة تجمد الساعة من الحزن، وخوف عقرب الثواني من الحركة، وتقريب لحظة وداع، وإنهاء حياة وبدء الآلام. الدقائق تمسك ببعضها البعض، ترفض الفراق لِعشرة دامت سنوات وسنوات. وقفت صامدة عصيّة أمام الكثير، غالبت الصعاب يدًا بيد وذراعًا بذراع، بكل قوة وشجاعة تجاوزا المستحيل معًا، وأكملا الحلم الجميل الذي انتهى وتحول لكابوس. خط دقيق فصل بين الحقيقة والخداع، خيط رفيع ربما يكون أبيض أو أسود أو لا لون له. فاصل لا يُرى بالعين المجردة بين النور والظلام، بين الحياة والموت، بين اليقظة والمنام؛ يفصل الصخب والمرح عن الركود والملل. لحظة تنقل الحياة من حال لحال، لحظة لا تُحسب ولا تُقاس، ولكنها تعني العمر كله عند البعض، وتوقفه عند البعض الآخر.

كآبة تتطاير في الجو، كأن الحوائط تريد أن تُطبق على الجالسين، والصمت يصرخ بأعلى صوته في المكان. ألم الفراق لحياة ثرية بهية

بلغ ذروته ونسف المؤشر حتى قبل أن يبدأ العد أساسًا. تتضارب المشاعر كموج هائل، تتحد الأنفاس الهادرة مع الكلمات الصامتة القاتلة، فيشتعل اللهب للسماء ولا ينطفئ، فمضخته متصلة بنيران الأرض. لا مناص مما يحدث، التوتر الشديد سيد الموقف، أنفاس متقطعة من الخوف من اللحظات القادمة، مترقبةً ما يحدث. هل معقول أن يتم ما هم مجتمعون بصدده؟ لا أحد يصدق ما يجري، كل العمر الذي مضى كان سرابًا، وما هو قادم يكتنفه الضباب، وجع وضياع.. يدٌ متعرقة تتشح بالسواد، متشنجة على سِبحة، وتحتضن مصحفًا كل حرف فيه يُطمئنها ويملأ ظلمة قلبها نورًا.. ورغم البركان المتفجر بداخلها، فإنها تكفنت بالسكون، تهمس بـ"يا رب". كل العيون مشدوهة والعقول مذهولة والآذان تنصت بكل اهتمام، لهمسٍ خافت مخنوق، مجنون، من وراء العقل، مخزٍّ. ينظر للأرض، الكلمات نفسها معترضة على الخروج من بين شفتيه، لم تكن تتصور أنها يومًا ستُنطق لشريكة عمره وأحلامه، تلك الحروف أخذت على حين غِرّة، لم تكن تظن أنها ستتجمع معًا على لسانه ليقولها لحور. كل الجمع الموجود ينتظر أن يسمع أربعة حروف أيضًا، ولكنها كانت في الماضي رمزًا لعلاقة كلها حب وأمان، أما الآن فهي لا تنتمي إلى هذا الجمع وهذا المكان، ولا إلى قاموس اللغة بين الخلان، هذه الأربعة حروف تفرق وتهدم معبدًا عتيقًا على رؤوس أصحابه الآن.

طالق.. أنتِ طالق.

ذبيحة غير مصدقة تحدث نفسها.

ط.. طريق غير الطريق، شيء بجد غريب عجيب

ا.. ابعد بعيد، بعد ما كان أنا أقرب قريب

ل.. ليه كل دا؟ اللؤم دا؟ والهجر ليه؟

ق.. قسوة وغلط، هدموا الحياة من غير سبب

يا إلهي الأمر ليك.

أربع حروف قاسيين أوي، هما ليه جامدين كدا؟

هيّ الحروف ممكن في يوم تدبح تموِّت؟ زي دانة أو صاروخ؟

يشطر قلوب يقصف بيوت؟ عادي كدا؟

قالها خلاص، بَحِلِّك من كل اللي كان، اللي فات، واللي جاي

واللي كان، ممكن في يوم ممكن يكون، إزاي كدا؟

نفس الملامح هو هو، بس إلى جواه اتبدل لحد تاني

قاسي غدار، طماع أناني

في يوم زفافنا، أنهى برضوا بدون تواني

قالي طالق

إنتي طالق، قالها عادي، بدون قلق

ولا ضمير هزه وفكَّره، ليه كل كدا؟ ولأجل مين؟

ولادي فين؟ هيروحوا فين؟ يجراهم إيه؟

مسألش نفسه؟ طب واللي وقفت جنبي عمري كله

ظهرها في ظهري، ليه يبقى دا هو الجزاء المحترم إلى يليق بيا إني أديهولها

مكافأة لنهاية الخدمة لإخلاصها ووفائها وصبرها؟

أهم حاجة صبرها، لازم أدبحه ويبقى عبرة للبقية

إنه لا يجوز نُحسن كما أُحسن لنا

زمن مبقاش فيه الاحترام والصبر هما الدواء

لاااا دا ضعف وقلة حيلة وغبا

مش دا العلاج السحري المنتظر علشان تعدي الزوبعة

ماشي سايب دنيا وبيت، قلب وعقل مش فاهمين

ووردتين بيفتحوا ع الدنيا أول درس خدوه في حياتهم بابا فين؟

راح لمين؟ سابنا ليه؟ هو زعلان مننا ليه؟ عملنا له إيه؟

نروح نصالحه وميسبناش، يمكن غلطنا محسناش

هنقوله آسفينله وخلاص

آه يا كتافي يا اللي شايلة دمع ولادي

في كل ليلة عياط للصبح يوماتي

بيصرخوا بعلو صوتهم للسماء، حد يساعدنا، غرقنا حصلنا الوبا

تسمع حيطان بيتي الدعا، اتشققت واتزلزلت حزنًا علينا كلنا

اعذروها ما هي هيّا هيّا نفس الحيطان، نفس البيبان

اللي كانت يوم شاهدة ع الشوق والغرام

وبعدها فُجر وخصام، إعصار ودمر عيلة كاملة

بس سيبكو انتوا متزعلوش

ياللي شايفين وساكتين ع الأذي ويمكن عادي تشجعوه

وتقولوا يعمل ما بداله، اللي عايزه، ما هو شاف كدا

وكلنا كلنا مدام بعيد عننا، إيه المشكلة؟

ما هو مش أنا، ولا أختي ولا بنتي، ولا صاحبة وحبيبة ليا يهمني أمرها

إيه المشكلة، قصة وحكاية بعيدة براحته بقى

اعمل ما بدا لك، بس خلي عندك فكرة

زي ما بتعمل بكرة هتلقى

راح زماني اداه لغيري، خد سنيني وخد حنيني

كل ما أملك وعندي

فين حبايبي؟ فين عنيّا؟ ولادي الغاليين عليّا

أضم فيهم، أشم فيهم، ريحة منه، نظرة زيه

لازم أنسى، أجمد وأرسى، على بر تاني

أنا وحبايبي، زهرتين زي القمر

عايزين عناية فائقة بكل المعاني واللغات

من لمسة حلوة لطبطبة، لنظرة عيون وحضن مليان حب ودفا

عايزين رضا، وضمة ترجَّع الفؤاد اللي اتخلع ساعة الوداع للدق تاني

عايزين أمل، فرح وسعادة، نور يطل

يدخل لبيتنا يملاه علينا، يقولنا فوقوا خلاص

راح اللي راح، بكرة جاي أكيد

هيجيب لنا بفضل من ربي خير كتير متشال لنا

زي ما رضينا باللي فات، أفراح كتير جُوَّه السنين جاية لنا

ارقص يا نبض قلبي الذبيح على أربع حروف مش همّا همّا ولا أنا أنا

وفاة

يـاااا إلهـي، كـم كانـت العـودة للحيـاة ومقابلـة العـالم الخارجـي صعبـة، وكـم كانـت ولادة متعسرة بعـد الأحداث الجسـام التـي مـرت عليهـا، والسـنوات الثـلاث العجـاف قبـل الطـلاق، والتـي أردتهـا قتيلـة تعيـش بجسـدها فقـط في الحيـاة، تبتهـل وتسـتدعي القـوة، تسـقط وتنهـض، تنهـار وتبكـي وتصمـت. يقولـون لهـا سـتة أشـهر مضـت منـذ طلاقهـا!! سـتة أشـهر مضـت تحصيهـا بـكل لحظاتهـا وسـاعاتها وأيامهـا، أخـذت منهـا الكثـير والكثـير، أخـذت السـعادة والأمـان والـدفء، أخـذت المنـزل والأسرة، أخـذت الحلـم والواقـع. سـتة أشـهر تنـام ولا تسـتيقظ، وتسـتيقظ ولا تنـام. ألم يلفظهـا لألمٍ أكـبر، وحـزن يغرقهـا في خضـم أحـزان وأحـزان. سـتة أشـهر تُعـد في عـداد الموتـى، تـكاد تتعلـم فيهـا المشي مـن جديـد، تـأكل فيهـا كالرضَّـع يملأون لهـا الحقـن بالماء والعسـل لتعيـش، يحقنونهـا بالمحاليـل فقـط لتظـل عـلى قيـد الحيـاة، ولتسـتمر حياتهـا إكلينيكيـا لحـين عـودة الـروح. رفـضٌ لجميـع مظاهـر الحيـاة طَلَّقهـا قلبهـا بالتبعيـة، طلـق الهـدوء والراحـة والسـكون، طلـق الأمـن والاسـتقرار، وارتبـط بالخـوف والذعـر، والظلـم والكـذب

والخيانة والحزن. تاهت في غابة موحشة لأسوأ المشاعر التي لم تعتد عليها، وفقد الثقة في النفس والناس. ذهبت ولم تعد، بقى منها جسد واهٍ، وروح مذبوحة من الوريد للوريد، تارة تشم رائحة الدم في أنفها، وتارة أخرى تشم رائحة دمها ممزوج بحريق يشب بداخلها. تتصور قلبها بركانًا أرجوانيًا يفور بحمم اللافا المتوهجة المستعرة اللا متناهية، تخمد لتعاود الكرَّة وتفور من جديد، تثور فتتلفح بالعواصف والأعاصير، وتسكن أحيانًا فتصمت صمت القبور.

تتعجب ممن حولها: "كلكم مش مستوعبين إني مش مستوعبة! إزاي؟ إزاي عايزيني أفك شفرة مادة وأتفوق فيها وأنا عمري ما درستها أساسًا؟ كأني مش متعلمة القراءة والكتابة أصلًا، والمفروض فجأة أبقى نابغة في حل امتحان للهندسة النووية باللغة الهيروغليفية!! حد يفهمني إزاي؟ لغة تعاملات لم أدرسها أو أتعامل بها قبلًا، لغة بذيئة في التعامل بين البشر، أفخر أنني رسبت في تجاوز تلك المادة اللعينة التي فرضها الناس في التعامل بينهم، لغة الخسّة والندالة والخيانة والجبن، لغة التمثيل والأقنعة، لغة الأنانية والطمع والكذب، اللغة المعترف بها الآن وإظهار العكس تمامًا من نوايا حسنة، وضحكات خبيثة ومبررات مقنعة. لغة التمرير للفعلة الشنيعة للخونة، كلٌ لمصلحته الشخصية للانتفاع بعرض أو إقامة في الفندق، أو علاقة باهتة لحفظ ماء الوجة والظهور بمظهر

شبه طبيعي، والإيحاء للجميع أنهم أنقياء أسوياء وسعداء، وأن استقرارهم ثابت رغم أن علاقتهم ريشة في مهب الريح، لا أركان لها إلا الخديعة والخذلان والغش وخيانة العشرة، والضرب في مقتل في الظهر".

تتعجب كيف تناسى البعض وقوفها بجانب ضياء وبدايتهما معًا، وتضحيتها بالغالي والنفيس من أجل حياة سوية وجميلة، لتفرح بزهرتها وبستانها في الكبر، وتجني ما زرعته وتكمل الطريق معه. كيف ارتضوا لها ما لا يرتضوه لأنفسهم؟ هي مثلهم تمامًا؛ كانت تتمنى أن يتربى يحيى ويزيد بين أمهم وأبيهم، وخاصة أنها لم تقصر في ذلك من أول لحظة في علاقتها بضياء. هل ترضون تلك النهاية لأولادكم وبناتكم وبيوتكم؟ وكيف سيكون رد فعلكم إذا وضُعتم في هذا الموقف؟ ولكني وكلت ربي "وما كان ربك نسيًّا"، فكلنا في اختبار الحياة معرضون لما تعرضت له، فأضعف الإيمان أن لا تشجع على ذبح روح، حتى لو بالسكوت على رؤية المنكر، بل برفضه وإنكاره وعدم إقراره، ولو بالقلب. تنتظر نفحة إلهية لتعود للحياة مرة أخرى، أيام تمر عليها مرور الكرام، أيام اُحتسبت فقط من عمرها لا غير، ليل يعقبه ليل ثم ليل لا يُولد له نهار، لطالما سمعت أن الليل إذا اشتد فلا بُدَّ أن ينبلج الصباح، ولكن صباحها لا يأتي ولا حتى أمست تنتظره. باتت غرف المنزل قبورًا مبهرجة

لنفوس دهستها الحياة من زمن، تقتات على الألم في الظلام، والهرب من الوحدة بالنوم. تسعى حثيثًا للعبور من الموتة الصغرى للموتة الكبرى، لمغادرة قبر فاخر للمثوى الأخير..

يقولون ويقولون تزوج ورقص وأقام الليالي الملاح قبل انتهاء فترة العدَّة بعد الطلاق، وهي ها هنا تبكي وترغي وتزبد. سافر وضحك وهي أقامت سرداق العزاء تنوح وتولول. يلهو ويلعب وهي وولداها تموت وتصرخ. تفيق قليلًا وتتساءل متى وكيف فعلها؟ وببعض التفكير والتركيز تجد اثنين اجتمعا على الخيانة الشيطان ثالثهما، اتفقا على سرقة بيت وهدم أسرة، لا بُدَّ أن يكون التنفيذ سريعًا، لا يجوز أن يكون متأنيًا أبدًا حتى لا تفسد الخطة التي تم طهوها على مهل لخراب البيت وتفريق الشمل ولا يجدا الوقت الكافي لتكملتها. يكفي للغاية ثلاثة أشهر أو أربعة على أقصى تقدير ليخرجا بالغنيمة الكبرى، كأن الشيطان يجري خلفهم، فيكون فعلهم واضحًا للعيان ولكن الله يعمي أبصارهم، ولا يهم أي مخلفات حرب تركوا وراءهم، من دمار ودماء، خاصة مع وجود أطفال لا بُدَّ من التنصل منهم، ومن تقديم فروض الولاء والطاعة الكاملة لكي يكون الطلاق سابقًا للزواج، ويكون الزوج أعزبًا خاليًا من الالتزامات والمسؤليات قبل زواجه الثاني، وكذب الكذبة وتصديقها والعيش فيها بكل تفاصيلها الخادعة!! على من

يضحكون؟ على الله!! حاشا لله، تتخيل أي سارق يقتحم مكانًا، هل يكون متمهلًا أم على عجلة من أمره؟ الإجابة واضحة للعيان.

ينامُ قرير العين مرتاح البال وهي تضم ولديها كل ليلة غرقى في الدمع والعبرات. يأكل ويشرب وهي منعت الزاد والزواد. هو حتى لا يكلف نفسه عناء مكالمتهم ولم يحدثهم! هو ليس بحاجة ليؤلم ضميره أو يحاول أن يوقظه. يتعاطي كثيرًا من مميتات الضمير ومسكنات التفكير، وعنده حليفة تساعده بامتياز على ذلك؛ توسوس له ولغيره، ولِمَ لا؟ الرجل دق قلبه وخان، فقط خان!! لم يقتل ولم يذبح ولم يغش، لا بُدَّ أن يحلل ويبيح كل غدر وخيانة حدثت، لا يرى إلا ما يراه، ولا يحس إلا بما يحس. كل الأحاسيس والمشاعر حكر له هو فقط، ليس من حق باقي البشر أن يشعروا بها، هو فقط من يحس ويشعر ويجب أن نقدر مشاعره، أما الباقين فعليهم التصرف مع أنفسهم لكي لا يتأثروا أو يتألموا لأي مواقف يمرون بها نتيجة أفعاله. لا يجب أن نعطي الأمور أكثر مما تستحق وتحتمل!! ثم عندما يصبح عنده متسع من الوقت بعد شهور أو أعوام فلا بأس من مكالمة، أو محاولة استعطاف واستقطاب واستلطاف للأولاد، ولكن عندما يحين الوقت، هم لا يستحقون حتى تضييع وقته بمكالمة، الوقت ليس وقتهم الآن، فليتركهم حتى يحين موعد وقتهم. مقتولة هي ورغم ذلك تحس بتأنيب الضمير

نحو يحيى ويزيد، بالكاد تتعامل معهما، يلطف بها الرحمن أن عقلها لم يذهب بعد. لعلها رسالة أن لها رسالة في الأرض لم تؤدها كاملة للآن، يهوِّن عليها المُصاب التقاء جبهتها بالأرض في كل سجدة تكلم فيها الله بصوتٍ عالٍ وهي تنتحب. لقاء حار مليء بالمشاعر، تلقي فيه جبهتها بكل حيرتها وأحلامها وآلامها في قلب السجدة التي ترحب بها بكل حب ورفق واحتواء، تمتص الحزن والأسى بقلبها وتنصت بهدوء لحور، وهي تسأل الله هل من يطلِّق زوجته يستحل لنفسه حقوقها من نفقة عادلة ومؤخر ومسكن؟ هل من يطلِّق زوجته يُطلِّق أولاده أيضًا بالتبعية؟ وهل من اختار الخيانة من حقة إلقاء تبعات هذه الخيانة على أولاده وأمهم؟ هذا هو الظلم بعينه وعدم الرجولة والأمانة والشرف، فيصبح الشُح في المشاعر وفي التزامات الأولاد، فيحرمهم من حقهم فيه كأب، ومن حقوقهم المادية عنده. ألا يدرك أن معاش الأب المتوفي يتحول تلقائيًا لدعاء له من أبنائه كلما تقاضوه من عمله، وأن صدقة الأب المتخلي عن أطفاله - وهو حي يُرزق - والتي لا تقيم صلبهم تتحول إلى دعاء عليه؟ ألا يظن أن دفع الحقوق في الدنيا أقل ثمنًا بكثير من دفعها في الآخرة رغم أن أضعف وأقل عطاء هو العطاء المادي؟ وأن أثمن وأنفس عطاء، عطاء القلب والروح والنفس والوجدان، لأنه يتغذى على كيان وروح المحب؟ وأن كل ظالم لا بُدَّ وأن يصاب

بما ظلم، وأن من عاش بلا مبدأ مات بلا شرف؟ تنادي الله وتناجيه يااارب أنت مصدر قوتي واعتزازي، بك أتجاوز الأحزان وبعونك أهزم الآلام. قوتي تنبع منك، من المصدر المُصدِّر للقوة في الكون، مصدر الجاه والسلطان، بك تتضاءل المحن والمصائب. يا قوي يا رحمن يا جبار، سأظل صامدة بك يا حبيبي يا الله. لا تكل ولا تمل من السجود والدعاء، زادها وزوَّادها على الأيام، في كل وقت وحين، وتَعِدُها سجدة بإرسال الدعوات لتعبر السماوات، تطمئنها لقد أحسنتِ الاختيار لمن تبوحين وتطلبين، وجارِ تحقيق الرجاء.

أدمنت الصمت والدعاء حتى النخاع، ففي بعض الأحيان يكون الكلام لا قيمة له أمام ما يجتاحنا من مشاعر تغرق القلب والوجدان، وتستحوذ على العقل والأفكار، وتجعل الحياة لونًا واحدًا، وذبذبة صامتة لا نغمات لها. تحتسي ألمها بهدوء، وتتفكر.. ما أعجبها تلك اللحظة التي ننظر فيها إلى ماضينا، حياتنا، أرواحنا، فنجدها غريبة عنا، لا نعرفها، بالكاد مرت علينا، نتحسسها بدموعنا، فإذا هي سراب بعيد مشوَّه الملامح لا يمت لنا بصلة، لا يشبهنا ولا يلائمنا، بقدر ما نفتقده بقدر ما نستنكره، وبقدر ما كنا نألفه أصبحنا لا نستسيغه أو نفهمه أو نشعر به. دارت الأيام دورتها، محت أصولًا ثابتة وأساسات مستقرة، وزرعت محلها مُستقرًا جديدًا، ومستقبلًا غامضًا لم نألفه ونعتده بعد، ولكنه ويا للأسف أصبح محدد الملامح

والأحاسيس التي تجعلك ممزَّع الهوى ومشتت الفكر، تحزن لفقدك هويتك وجزء نفيس من عمرك وتاريخك إلى الأبد.

تبحث عن جرحها بكل تروٍّ فتحس بالتئام روحها رويدًا رويدًا. بالكاد تشعر بندبات رتق الجرح، الوقت كوى الألم وبدا الأمر شبه طبيعي يهاجمها كل فترة كعادة الجروح، وما يلبث أن يهدأ ويستقر. ولكن أي عين خبيرة تلاحظه وتكتشفه، تُراه يحتاج إلى طبيب تجميل ماهر يطمر الندبات والجروح ويمحو أثرها وعلاماتها؟ وهل يحتاج معه إلى طبيب تخدير؟ أم أن الألم ولَّى زمنه؟ لكنها تثق بنفسها وتعرف أنها توَّاقَة للأفضل وللأمام، ولا تتراجع للخلف، ولكنه القلق: هل أنا على الطريق؟ تخاف أحيانًا أن تُختبر وألا تمر في الامتحان، ولكنها تعود لرشدها فتجد نفسها اختُبرت بالفعل، فلِمَ القلق؟ بعد صدمة قاتلة بشعة سخَّر لها الله الكون كله ليربِّت على قلبها، حتى الهواء تحسه يحتويها ويربِّت عليها، الكل يتسابق لمواساتها ودعمِها. ورزقها الله بهدايا ربانية وعُمرات من حيث لا تدري ولا تحتسب، بُشِّرت بها في منامها قبل التخطيط لها أو حتى التفكير فيها. وعند رفعها قضيتها لقاضي السماء وهي متشبثة بأستار الكعبة، أدركت ووعت حقيقة الحقيقة والحياة، فهدأت وتعلمت، وطبَّقت وتطوَّرت. تقدمت بنفسها على نفسها، وربحت الروح وتمسكت بالحبل والوصل، وتعشمت بالخير فكما

مر المُر سيهل الخير في كل قادم، فربُّ الخير لا يأتي إلا بالخير. أمَّنها الله على يحيى ويزيد، وهي أمانة عظيمة، فوثقت أنها ستكون على قدر الأمانة أُمًّا حنونة رءومة، تلبس دور الأب كما لم يلبسه الأب وتتألق فيه. ستكون سندًا وظهرًا وأمانًا، وأكثر إقدامًا على المواجهة وأخذًا لزمام المبادرة والبحث عن الحلول وتفعيلها، القادم لا بُدَّ أفضل وأجمل بإذن الرحمن.

عادت حور للطاولة لتبادرها شهد بالكلام فورًا، فهي تحس بحور وبما يعتمل بداخلها.

"صدقيني هيلاقوا كارمتهم، هتلف تلف وترجع لهم كل حاجة بيعملوها، هتروح فين يعني؟، ما إنتي عارفة.. الجزاء من جنس العمل وكما تُدين تُدان، واللي هتعمله النهارده هتلاقيه بكرة سواء خير أو شر، تدوس هتداس ولو بعد حين، هو دا قانون ربنا في الكون، قانون العدل، قانون الكارما[1]. السرقة حرام والتحايل على القانون حرام، حتى لو حد سرق وراح سجل اللي سرقه في الشهر العقاري وخلاص بقى رسمي ملكه، لكنه هيفضل خارج عن القانون ونصاب وحرامي، ومهما حاول وطاوعه حد وأخده على قد عقله، شوية في أول فرصة وموقف هيتقال عليه وفي ظهره "حق

1) قانون الكارما قانون من قوانين علم النفس المعروفة، ويعني أن ما تفعله اليوم لا بُدَّ سيعود لك بعد حين بنفس القوة والمقدار، وأن الجزاء من نفس نوع وجنس العمل، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر. فـ "كما تدين تُدان ولو طال الزمان"

ناس بتخلَّصه ناس" و"القوي فيه اللي أقوى منه"، وإنتي فوضتي أمرك للقوي، خلاص يا حبيبتي.. اطمني زي ما الشيخ الشعراوي بيقول.. كله إلا الظلم، لاااازم المظلوم يشوف حقه في الدنيا قبل الآخرة. دا وعد ربنا، إنتي على طول بتقولي الحمد لله ربنا عوضني بكل حاجة حلوة، شغل بتحبيه وماجستير بتتمنيه وهتنجحي فيه، ويحيى ويزيد زي الفل في حضنك، وكل الناس بتحبك. إنتي اتقدمتي وطلعتي لقدام والدنيا كلها بتفتحلك إيديها"

ربَّتت حور على يد شهد وهي تقول: "المشكلة يا شهد بقيت أشك في نفسي، هو العطاء الزيادة والصبر بيخلوا اللي حصل دا يحصل؟ إحنا مكانش عندنا مشاكل وحياتنا حلوة وضياء عمره ما كان وحش عشان أظلمه وأقول عليه كدا، بس اتغير فجأة ١٨٠ درجة لحد تاني عمري ما عرفته، ليه يا شهد؟؟ ليه؟؟!"

"اتغير عشان اتعامل مع واحدة وحشة يا شهد، من عاشر القوم بقى، بررت له وعلى وقت طويل اللي همّا عايزينه، و"الزن على الودان أمَرّ من السحر"، وكانت بتعرف تدس السم في العسل كويس أوي، بطرق كتير إحنا منعرفهاش، وإنتي كنت بتتعاملي بأصلك، وعمرك ما زعلتيه حتى في عز ما هو قاتلك، وبتعامليه حلو أوي، هيعاملك وحش ليه بقى؟ دي للأسف غلطتك يا حور، إنك حولتيه لواحد عظيم مش بيغلط، وسامحتي كتير واستحملتي

أكتر وأكتر، ودا اللي شجعهم على الفُجر اللي حصل، كل حاجة ولها حدود، العطاء لازم يبقى متبادل والصبر لحد معين ويخلص، لأن غير كدا كل حاجة بتبقى مسلمات، وبتجيب نتيجة عكسية تمامًا. الشيء لما بيزيد عن حده بيتقلب لضده يا حور، ودا اللي حصل معاكي لما كَبَّرتي ضياء أوي، وبقى هو المدار الوحيد اللي بتدوري في فلكه، وصل لي وصلنا كلنا ليه دلوقتي مع كل الأسف"

"يلّا يا شهد نحتفل احتفالنا، كفاية أوي الوقت اللي خدوه مننا النهارده ونلحق باقي يومنا في مكتبة إسكندرية، الحمد لله الحمد لله، أنا في نعمة ما بعدها نعمة".

علاج

يتصاعد اللحن الهادئ بخفة في المسرح الكبير لمكتبة الإسكندرية أثناء عزف العملاق عمر خيرت ألحان أغنية "عارفة" للمطرب علي الحجار. تتهادى ذكريات هُجرت بخفة، تحملها النغمات على حين غِرَّة، فتتسلل أحاسيس ومشاعر ولَّت ومضت، ظنتها حور قد دُفنت واندثرت بلا رجعة مرة أخرى، كتوغل عطر ما بداخلك ومباغتته لقلبك فجأة، ودغدغته لعقلك وحواسك دفعة واحدة. هل حملت النغمات معها نسمات الصباح العليل وروائح الليمون والياسمين مع صوت الفجر وأتت من بعيد أم يُخيل إليها؟ وذكريات قريبة بعيدة تذيبك فيها كذوبان الجليد على قطعة جمر متقدة لها أمد بعيد. مع تعالي النغمات تتبخر الأحزان والهموم، ويرقص القلب رقصة الخلاص من الألم، ويشق الهواء طريقه ليفتح مسام النفس والروح، ويمتلئ الجسد بحب الحياة مع كل شهيق وزفير. وحور ترى نفسها بعين القلب مستمتعة بسمفونية رائعة تطرب لها الأذن وينتشي لها الخاطر، تعزفها عصافيرها بشرفة مخدعها، فتملأ الأرجاء مع غزل الشمس لضوء النهار، على مهلٍ

بمغـزل الوقـت، وهـي تُتـم صلاتهـا عـلى وقتهـا وتسـتمتع بالهـدوء وموسـيقاها الطبيعيـة المحببـة إليهـا والتـي تبـدأ بهـا كل يـوم، تقـترب مـن ضيـاء وبـكل رقـة تمسـح عـلى ظهـره وهـي توقظـه: "صبـاح الفـل يـا دودي، يـلّا اصحـى حبيبـي يادوبـك نلحـق معادنـا"

يبتسم نصف ابتسامة وهو ساكن لا يتحرك.

"كفاية كسل بقى"، تهمس في أذنه بوداعة.

يـرد عليهـا: "بذمتـك حـد يصحـي حـد كـدا؟ دا إنتـي لـو قاصـدة تنيمينـي يادوبـك تعمـلي كـدا". تضحـك: "قـوم يـا كسـلان عشـان نلحـق التكريـم في المدرسـة، هـروح أصحـي الـولاد، قـوم بقـى"

بمجرد خروجها من الغرفة يهتف بصوت محمل بالمشاعر:

"أربـع حـروف"، ثـم يقفـز بنشـاط مـن السريـر: "اسـتني هاجـي أصحيهـم معاكـي، يـلّا يـا يحيـى، يـلّا يـا يزيـد، قومـوا هنـروح مدرسـتكم مـع بعـض النهـارده، النهـارده إحنـا هنتكـرم الأسرة المثاليـة عـلى مسـتوى المدرسـة السـنة دي، نسـيتوا ولا إيـه؟"، وهـو يغمرهمـا بالقبـلات والدغدغـات.

نحـن البـشر نحمـل بداخلنـا شـفرات لا تعـد ولا تحـصى لـكل مـا مـضى وانقـضى، فيـترك بصمتـه وعلامتـه عـلى أرواحنـا، وتحفظهـا تلافيـف عقلنـا وتحملهـا هالتنـا إلى الأبـد، لا نسـتطيع السـيطرة عليهـا

عندما تثأر بغتة، ولا نتحكم في ردود الأفعال التي تحدث وقتها ونشعر بها، وقتئذ نستعيد اللحظة وننغمس فيها لبرهة، ثم ما نلبث أن نعود لوعينا وحاضرنا، وندرك الفرق والزمن بين هذه النغمة وتلك الرائحة، وذاك الوقت الذي مضى.

"خليك معانا هنا يا جميل، حور حبيبتي متروحيش في أي مكان تاني، استمتعي بالحفلة"، همست شهد.

***

وصلت حور لمكان الندوة التي قررت أن تحضرها عن "الفقد"، كنوع من أنواع العلاج الدائم لنفسها. دخلت القاعة لتفاجأ بامتلائها عن بَكْرة أبيها بالحاضرات ممن يعانين نفس مشكلتها ويقاسمنها نفس الكأس. الواقفات أكثر عددًا من الجالسات، أصبح الأمر ظاهرة عجيبة تستحق الدراسة فعليًا، الطلاق هذه الأيام والتضحية بالمنزل والأولاد لأي سبب كان أسهل الحلول وأبسطها أمام الكثير من الرجال والنساء، وأكثر هذه الأسباب العلاقات الآثمة والخيانة التي غزت المكاتب والمنازل، فزلزلت القلوب وهدمتها قبل البيوت.

كانت المُحاضِرة متحمسة وهي تُمهِّد، لتلقي عليهم "بوست" الكاتبة سارة الذهبي علي الفيس بوك لليوم بعنوان "ما تستعبطيش".

"البوست عبقري يا جماعة، بيحكي اللي بيحصل كل شوية، بيتكلم عن كل واحدة حرامية أدارجية خطافة رجالة، بيقول اللي بيحصل حوالينا دلوقتي كل يوم والتاني، وبسببه بيوت كتير بتتقفل، وأطفال بتضيع وتتشرد، اسمعوا سارة بتقول إيه في البوست.

"ما تستعبطيش!!

ما تتقرَّبيش لراجل وعارفة إنه متجوز..

ما تتسهوكيش وتمثلي عليه..

ما تتصليش بيه.. احترمي نفسك!!

ما تخديهوش من بيته ومراته وعياله وتقولي وفيها إيه؟!

فيها كتير.. فيها خراب بيوت. تعرفي يعني إيه خراب بيوت؟؟

عايزة منه إيه؟؟

ما تستعبطش.. إنتَ بتخرب البيت وعارف إنك بتخربه..

كلامك معاها واهتمامك بيها آخرته إيه؟؟

مراتك وضعها إيه في وسط الأرف دا كله..

إنت فاهم إن دا آخره خراب.. مكمل فيه ليه؟؟

لو كنت صدِّيتها مرة والتانية كان الموضوع انتهى.. حتى لو صدِّيتها عشرة.. إنت اللي استسلمت واستسهلت!!

مـن البدايـة أنـا مـش بتكلـم عـلى الـزواج التـاني، مـش هنتطـرق لموضـوع التعَـدد خالـص عشـان مـا ندخلـش في متاهـات.

أنا بتكلم على الخيانة.. بتكلم على ستات بتخرب بيت!!

بتكلـم عـلى رجالـة سـمحت تخـون وتخـرب بيتهـا بإيدهـا وفتحـت السـكة!!

بتكلم عن مراتك اللي مآمنالك وبتتخان!!

بتكلَـم عـن التـلات عنـاصر دول.. عنصريـن اتَحـدوا لخيانـة التالـت.. بغـض النظـر عـن نسـبة مشـاركة كل عنـصر.. في النهايـة اسـمها خيانـة.

إنتي لو كنت بتراعي ربنا ومحترمة نفسك مكانش بصلك أصلًا.

وحتـى لـو فكـر وبصلـك كنـتِ المفـروض تديلـه عـلى دماغـه لأنـه متجـوز.

وحتـى لـو هـيّ بتشـدك ليهـا، المفـروض توقفهـا عنـد حدهـا.. إنـتَ مـش طفـل صغـير بيتضحـك عليـك

إنتَ سمحت لنفسك تخون..

إنتَ اللي فتحت الباب أو سيبته موارب..

إنتَ اللي استجبت أو اللي فتحت السكة من الأساس..

إنتَ اللي حطيت بيتك ومراتك وولادك في الموقف دا..

إنتَ اللي نسيت إن مراتك أمانة، ونسيت وعدك لأهلها إنك هتحافظ عليها..

إنتَ اللي استسهلت تخون، ورميت مراتك ورا ضهرك..

إنتَ اللي كنت المفروض تفرمل، إنت اللي تحط الحدود..

إنتَ راجل مسئول مش واحد ما يعرفش الصحَ من الغلط..

ما تخربيش البيت وتقولي نصيبه كدا..

إنتي اللي بتخربيه ومقررة تخربيه..

ما تخربش البيت وبعد كدا تخلق أعذار ومبررات عشان شكلك ومنظرك قَدام الناس..

ما تخربش البيت، عمر ما كان الخراب حل لأي حاجة..

لو كنتي محترمة ما كنتيش هتفكري تشدي انتباهه أو تحسسيه إن كلك مميزات..

مكنتيش هتهتمي بتفاصيل ما تخصكيش عشان تعرفيه إنك أحسن من مراته..

احترمي نفسك قبل ما تجيبي اللوم على ستَ قاعدة في بيتها

بتخونيها، وخلَيتي جوزها يخونها!!

أنا مش بلوم السَت اللي بتعمل كدا بس، بلوم الراجل اللي بيستجيب.. اللي بيتناسى إنه متجوز..

اللي حتى لو مراته فيها عيب فحله مش الخيانة..

وغالبًا اللي بيستجيب بتكون عينه فارغة، بيحاول يطلَّع أي عيب في مراته عشان منظرة وبس، أو بيخلق عيوب وهمية..

كلنا فينا عيوب ولو الخيانة هي المخرج يبقى دي بقت غابة، كله يخون كله، وعلى عينك يا تاجر..

حتى لو مراتك قصَّرت معاك قوِّمها بهدوء واشتري بيتك، محدش فينا معصوم من الخطأ..

لو جربت كل الحلول وفشلت معاها فدا موضوع تاني، وساعتها يبقى ليك حق تشوف حياتك مع حد تاني..

بس بالأصول مش بالخيانة..

فية فرق كبيييير أوي.

لكن متكونش محترمة وغلبانة، وتتمنالك الرضا وتعرف عليها واحدة أيًّا كانت.

أي طرف حاسس إنه مش مرتاح يتكلم مع الطرف التاني، ما يستناش لحد ما يبقى بيتلكك عشان أي واحدة تديله سكة ينجرف معاها.. أو يغلط معاها أو يتجوزها على مراته!!

اتقوا الله في بيوتكوا..

اتقي الله في مراتك اللي إدتك ثقتها وعمرها وصحتها..

وإنتي اتقي الله في بيوت غيرك..

اتجوزي ودا حقك بس ما تخربيش بيت عشان تتجوزي..

ما تبنيش سعادة مؤقتة على تعاسة الآخرين..

والأيام دُوَل..

اللي بتعمليه في بيوت الناس هيتردلك في بيتك..

الكسرة اللي كسرتيها للست دي والخيانة دي هتتردلك..

فيه ملايين مش متجوزين، مش عارفة ليه بيحلى اللي متجَوز وعنده بيت وأسرة!؟

موضوعنا مش في إن الشرع بيحللك مثنى وثلاث ورباع.. مش دي القصة دلوقتي خالص..

موضوعنا الست اللي بتسمح لنفسها تدخل حياة مستقرة عشان تهدمها..

والراجل اللي بيرمي مراته ورا ضهره ويخونها..

اللي ما بيكلفش خاطره يقاوم نفسه شوية عشان بيته وعشان ربنا قبل أي حاجة..

موضوعنا إن الحياة كلها مشاكل، وممكن جدًا الزوج أو الزوجة يحتاجوا يتنازلوا عشان يريَّحوا بعض، مش الحل أبدًا الخيانة وإنك تعرف واحدة أو تسمح لواحدة تساعدك على الخيانة..

البيوت فيها مشاكل ودا العادي، ولازم نعديها بالتفاهم والحب مش بالغدر..

موضوعنا إن اليومين دول خراب البيوت بقى كتيييير أوي، وسهل أوي، ولازم نتقي ربنا في بيوتنا.

موضوعنا مش مين غلطان أكتر، البنت اللي بتتسهوك ولا الراجل اللي استجاب؟

أو الراجل اللي بيبدأ ولا البنت اللي طاوعته وجرِّته في السكة دي..

موضوعنا إن يمكن حد من الاتنين يقع في إيده الكلام دا ويراجع نفسه..

يمكن ضمير حد فيهم يصحى، ويعرف إن خراب البيوت دا حاجة صعبة أوي.. وإن عواقبه أصعب وأصعب، دا الهدف من الكلام..

يمكن الكلام دا يفوَّق حد.. يمكن.

اشتروا بيوتكم..

بيتردلكوا في عيالكوا..

اتقوا الله..

الخيانة عمرها ما كانت حل".[٢]

وبعد انتهاء المحاضَرة، أخذت الحاضرات تحكي كل منهن مأساتها، وما تعاني منه في حياتها، وكل ما جرى وكان من قصص وحكايات حقيقية شديدة الصعوبة والغرابة تحدث حولنا، كحكاية حور. وترد المتخصصة بالحل المناسب لكل حالة على حدة، وانصرفت حور للحاق بموعد عملها.

***

تطرق الباب بهدوء على غرفة حنفي الذي لا يلتفت من الأساس للباب، كأنه وحيدٌ في عالمٍ خالٍ من البشر. تلقي عليه التحية وتسأله عن حاله. تعلم أنه لن يرد في حالة العزلة التي فرضها على نفسه. تجلس أمامه صامتة ثم تتكلم. "عارف أنا متأكدة من حبك لابنك التاني جدًا وإنه واحشك ونفسك تشوفه، وعرفت إن عندك طفل

2) تم أخذ موافقة الكاتبة سارة الذهبي لنشر بوست "متستعبطيش" في الرواية، فلها جزيل الشكر والتقدير.

جاي قريب، عرفت من مراتك ست طيبة وبتحبك أوي، وإنت كل حاجة في دنيتهم وخايفة عليك جدًا، باعت كل اللي قدامها ووراها عشان تتعالج هنا في أوضة لوحدك وتخف بسرعة وترجعلهم وتخلي بالك منهم، وابنك الجديد يتولد يلاقيك موجود. قالت لي قد إيه إنت طيب وبتحبهم ونفسك تعلمهم وتكبرهم رجالة محترمين بيتحملوا المسؤلية زيك، وبتعمل كل اللي تقدر عليه معاهم. مينفعش تطول عليهم الغيبة، حاول تساعد نفسك وتساعدهم. أنا مش طالبة منك حاجة أبدًا غير إنك تاخذ الدواء اللي الدكتور كتبه، بس كدا، كتير عليك وعلى عيلتك كام قرص دواء ومهدئ؟ هيساعدك جدًا فوق ما تتصور. أوصيك بنفسك يا حنفي، خلي بالك منها، هيَّ الوحيدة اللي بتاخدها في حضنك من أول لحظة في حياتك لغاية آخر لحظة في الدنيا، اللي بتضمها لحظة الفرح ولحظة الزعل، هيَّ اللي بتستحملك وبتطبطب عليك وتفهمك كأنكم اتنين أصحاب، وطول ما إنت وهيَّ متصالحين مهما كان في مشاكل مش مهم، هتقدر تعديها كويس، لكن لو زعلت معاها هنا مفترق الطرق بينك وبين الراحة والهدوء النفسي. صدقني مش كتير عليها كام قرص دواء، هيَّ محتاجاهم أوي دلوقتي، ساعدها بيهم بعد إذنك"

"أنا همشي وأعدي عليك تاني، محتاج أي حاجة؟؟"، ينظر لها ويشيح بوجهه ولا ينبس ببنت شفَّة.

تبدأ في كتابة تقريرها ومتابعاتها له ولباقي الحالات التي سوف تناقشها، وتضع خطة العلاج لحنفي وهي متفائلة للغاية؛ سيبدأ في التواصل معها رغم عدم تواصله بالمرة مع أي أحد آخر، حتى النظرة تُعد تواصلًا. لا بُدَّ أنه أحس بمدى ألمها عليه وعلى أسرته النابع من حزنها على ولديها وافتقادهما لوالدهما. لا تعرف لما هذا الربط بداخلها من لحظة رؤيتها لتلك الحادثة؟ لما هذا الربط بينه وبين ولديها؟ ولداها أصبحا يتيمين رغم وجود والدهما على قيد الحياة، غفر لنفسه ومرَّر له المجتمع قتلهما وهما أحياء وسلخه لهما في كل موقف ومناسبة، بكامل وعيه وقصده. أما حنفي فقتل ابنه دون قصد ولا تعمد، وحان أجله دون يد له في ما حدث، ورغم ذلك لا يغفر لنفسه، ولن ينسى له المجتمع ما اقترفه. يكاد يقتل نفسه من فرط الحزن على ما اقترفته يداه، ولا يسامح نفسه ولن يسامحها مهما مضى من الوقت.

ظلت حور على هذا المنوال لأكثر من أسبوعين، تذهب لتطمئن عليه وتجلس معه دون أي تفاعل ظاهر من ناحيته، تأخذ له الطعام بنفسها فيرفض تمامًا ولا يقربه، إلى أن قررت أن تخرج به لحديقة المستشفى لتغيير المكان والجو العام فرفض أيضًا، ولكنها أصرت عليه بشيء من الحزم وهي تمسكه بقوة مع الممرض الذي طلبت منه أن يصحبة معها. مع مرورالوقت زادت فترات جلوسه في

الحديقة، وضغفت مقاومته وبات خروجه من غرفته أكثر سهولة، وأصبح من الواضح أن حنفي يرتاح في وجود حور، تلاحظ ذلك من تحليلها للغة جسده واسترخائه وهدوئه أثناء مرورها عليه.

بعد مرور شهر، شعرت حور أنه حان الوقت لتجلس وتتكلم معه لوقت أكبر مباشرة وتطرق الألم ليعبراه معًا، خاصة بعد أن بدأ يمتثل لطلبها ويأخذ جرعات الدواء كما حددها الطبيب النفسي المعالج، ما ساعدها بعد فترة على بداية سهولة التواصل معه.

طلبت كوبين من الشاي في غرفة حنفي، دخلت الغرفة لتجده يبكي بحرقة، فناولته قرصًا مهدئًا وهي تسأذنه في الجلوس وتخبره أنها ستشرب معه الشاي اليوم، واعتبرت صمته موافقة ضمنية على جلوسها، حتى هذه الدموع تعتبرها علامة إيجابية.

"عامل إية يا حنفي؟"، لم يرد.

"إنت عارف بتفكرني بولادي أوي لما أشوفك، عشان بحس بالزعل عليهم أوي زيك بالضبط ما إنت زعلان على ابنك". نظر لها وردَّ بفضول حذر بعد فترة: "ليه بس؟". كانت سعادتها بالغة لسماع صوته لأول مرة بعد الحادث، وبعد هذه الفترة الطويلة، إلا أنها لم تُبدِ أي ردة فعل، وهي تكمل بتلقائية بالغة: "عشان هما عايشين ميتين، وأبوهم قتلهم وعايش ولا في دماغه، رغم إنة قاصد

يعمل كدا وإنت معملتش أي حاجة بقصد، ومش عايز تحاول حتى تسامح نفسك وتدي فرصة لنفسك ولينا نساعدك"

يرد عليها: "إيه اللي جرى لهم يا ضكتورة؟"

"اللي جرى كتير يا حنفي، زي مثلًا إن ابني الصغير في يوم من الأيام، وهو بيتعلم القراءة والكتابة، كان عايز يسمي نفسه على اسمي مش على اسم باباه، ابني اللي كان عنده ست سنين كان بيغمى عليه ويقع من طوله وهو واقف جنبي من كتر الزعل وافتقاده لباباه ومحايلته عليه عشان يشوفه، ومكانش بيرضى ييجي عشان كان مش فاضيلهم، كان وقتها بيحلِّي خيانته بالجواز بعد ما طلقني أنا والولاد مع بعض من غير سبب. كنت بحاول أشيله من على الأرض وهو مغمى عليه مقدرش من كتر الزعل والوهن والضعف، وأقعد أعيط جنبه من غير ما أقدر أساعده أو حتى أرفعه، ورغم كل دا ولا كان بيهز شعرة في شعر باباه لما يعرف"

يتنهد قائلًا: "لا حول ولا قوة إلا بالله، معلش يا ست الناس، أصل الفرحة بتشد والحزن بيهد"

"الدنيا فيها كتير يا حنفي وبيعدي علينا كتير، وربنا حطك في طريقي عشان أساعدك وتساعدني، كلنا لنا دور في حياة بعض، بس خد قرار إنك لازم تبقى أحسن، وهتاخد وقتك وتبقى كويس،

دا بس كل اللي طلباه منك دلوقتي. لازم تعيش زعلك وتعبر عنه وتحس بيه، وإنت مقرر ومتأكد إنه هيعدي، خليه ياخد وقته، عشان لما تقوم يبقى اتعلمت منه. قول كل اللي مضايقك ومخليك غضبان، عبَّر احكي اغضب، أنا فاهمة اللي بتمر بيه أوي أوي، خد وقتك وكل حاجة هتعدي وتبقى أفضل بإذن الله"

خرجت من عنده وهي في منتهى الحيوية، وبدأت بسرعة في كتابة كل ما حدث وتوصيف حالته وتحليل الجلسة، ورفعت التقرير للطبيب المعالج ليتابع معها عن كثب التطور في حالة حنفي.

في صباح اليوم التالي سقطت الأمطار بغزارة باكرًا، واشتدت العاصفة حتى غرقت الإسكندرية على إثرها، وتقطعت الطرق تمامًا لدرجة أن عاد يحيى ويزيد من المدرسة قبل أن يصلا إليها بعد غرق أنفاق الإسكندرية بماء المطر في قمة انهيارهما وحزنهما، لعدم وجود والدهما معهما كما فعل باقي أولياء أمور أصدقائهما؛ للذهاب لسيارة المدرسة وإعادتهما للمنزل. يزيد حساس للغاية، يبكي بكاءً شديدًا إثر رؤيته قطة تحمل ابنها بفمها وتجري به وتنقذه اتقاء الغرق، وهو يحدث حور: "حتى القطة يا ماما عندها أب بيخاف عليها ويشيل مسؤليتها، وأنا بابا نسي يسأل عليّا". يلفت انتباهه حتى تعامل بائع الخضروات البسيط مع أولاده، وضحكه وبساطته وسعادته معهم. "هما عندهم أب وأنا بابا سابني ومشي".

هذه الأحداث تفعل الأفاعيل بحور، فيظهر عليها الضيق والحزن. حتى أثناء ذهابها للعمل بعد يومين بسبب الظروف الجوية والطقس السيئ وانقطاع سبل الوصول الآمن للمستشفى، ما دعى حنفي أن يسألها عن حالها عندما رآها بهذه الحال، فحكت له عن افتقاد يحيى ويزيد الشديد لوالدهما، وكيف أن هذا الإهمال يصيبهما في مقتل، خاصة يزيد. أخبرته عن افتقاده الخروج والسفر معه، وعن أمنيته أن يحضر معه مباراة لكرة القدم لفريقه المفضل في الاستاد، ولكن والده يتعلل بالظروف التي لا تسمح بذلك. وعن حالة الاكتئاب التي يعاني منها، ووقوفه بالساعات في شرفة المنزل وحيدًا، أو جلوسه تحت مائدة الطعام في الظلام، وكيف أنه يتمنى الموت ليل نهار. وكيف يصف قلبه بأنه متفحم وحزين، وغلقه باب غرفته والحمام عليه وعدم الرد على من يطرق عليه الباب. قصت عليه جلوسه الطويل يتأمل صور الأيام الخوالي والذكريات، وأنها تُحزنه أكثر مما تفرحه ولا يوجد فيها ما يسر قلبه وخاطره، ولكنه يحبها ويحب مشاهدتها دومًا، ولا يستطيع إيقاف هذه العادة، وعما ينشره من كتابات على صفحتة على الفيس بوك من أحاسيس الوحدة والحزن والألم، وكيف أنه يرى أنه دون حظ في الدنيا وأن الحياة لا يوجد بها ما يستحق العيش لأجله. وحكت له عن عدم حبه نزول حمام السباحة لعدم وجود والده معه، وفي كل مرة يشاهد

أبًا يعلم أبناءه السباحة ويحتضنهم، يخرج من الماء يبكي في حضنها ويشتكي افتقاده والده ولعبه في الماء معه وتعليمه السباحة، وكيف أن والدهما ألغى متابعتهما له على المواقع الاجتماعية، حتى أن يزيد أصبح يبحث في كل مدرس ومدرب عن أب يعيش معه هذا الإحساس بالقرب والود، وتمحورت أمنياته في السفر للماضي وبدء حياته من جديد، أو تغييرها أو إلغائها من الأساس، إلى أن أدى به الأمر نتيجة هذه الضغوط لإصابته بالقولون العصبي وتشنجات نتيجة زيادة الشحنات الكهربائية على المخ، وتعاطيه دواء الصداع النصفي الملازم له ليل نهار، حتى أثناء نومه. كل هذا يحدث لطفل لم يتجاوز العاشرة بعد، نتيجة الخيانة والأنانية والتفريط في الأمانة والرعية.

هنا حدث ما لم تكن حور تتوقعه: "والله يا ست الناس أي وقت يبقى عايز يروح ويحضر ماتش كورة قوليلي، وأنا على طول أروح معاه، وهخلي بالي منه زي الغالي الله يرحمه". دمعت عيناه وصمت تمامًا وهو يغالب البكاء، ثم أردف: "ولَّا أنا معرفتش أخلي بالي من ضنايا، وهتخافي توديه معايا؟". تأنيب الضمير يمزقه ويكوي قلبه بلوعة الفراق. صمتت لبرهة ثم شكرته للغاية على عرضه الطيب النابع من رقة مشاعره، وهي فَرِحة باعترافه وإقراره لأول مرة بوفاة ابنه البكر، وتخطي إنكاره وذكره للحادث، ما دعاها أن تقرر أمرًا من شأنه أن يساعد حنفي ويحيى ويزيد معًا.

بعد عودتها للمنزل قصت على طفليها حالة حنفي، وأنها تقوم بعلاجه وتريد مساعدتهما في العلاج، واتفقت معهما على الذهاب للمستشفى والجلوس معه في الحديقة لتحسين حالتة النفسية قدر المستطاع والتخفيف عنه، كعملٍ من أعمال الخير، وأنها ستعرض عليه أن يتعرف عليهما ولكنها لا تعلم رد فعله على اقتراحها، لكي يكون ولداها على استعداد لأي تصرف يقوم به حنفي.

في اليوم التالي صحبت حور معها يحيى ويزيد للمستشفى، ودخلت لتخبر حنفي بوجودهما في الحديقة، ولكنه خاف للغاية من الخروج ومقابلتهما. احترمت حور رغبته ولم تحاول فرض مقابلتهما عليه، ليأخذ وقته في تقبل الفكرة.

بعد بضعة أيام دخلت حور متهللة الأسارير غرفة حنفي وهي تهتف: "حنفي.. إمبارح واحدة صاحبتي كلمتني من السعودية، وهيَّ في الحرم وقالت لي إنها افتكرتني وبتدعيلي أوي، وأنا طلبت منها تدعي لك كتير، والمفاجأة بقى هتعمل عُمرة لحبيبك إن شاء الله، حبيت أقولك كدا عشان أفرحك، شفت بقى كرم ربنا". لم يتمالك حنفي نفسه وأجهش بالبكاء بقوة.

حالة حنفي تتقدم ببطء شديد للغاية، والطبيب سعيد بهذا التطور، والعلاقة الجيدة بينه وبين حور تُنبئ بقرب تجاوز الأزمة على المدى الطويل، وبداية تحسنه رغم انتكاسات تحدث في الطريق،

ولكن ما تلبث أن تمر. وأخذت حور قرارًا بأن تعالجه بأحد أساليب وتقنيات العلاج الشعوري "الحرية النفسية"، للتحرر من المشاعر السلبية المتعلقة بالصدمة التي حدثت له، كما تعالج أولادها بطريقة غير مباشرة لتخفف عنهم الأحمال الثقال.

عادت حور للمنزل لتجد مكالمة تخبرها بانتكاسة حدثت ليحيى، يحيى الذي دائمًا تحدث نفسها أنه أفضل حالًا من يزيد، ولكن المُدرِّسة صعقتها عندما أخبرتها عن انهياره أثناء شرحها درس يصف علاقة الأب وأبنائه، وكيف انفعل وبكى وهو يصرخ أن كل ما جاء في الدرس خداع وغير حقيقي، وليس من الضروري أن يكون الأب بهذه الصفات أو يتسم بها، وأن ما ذُكر في الدرس كذب ومبالغة، وكيف أنها لم تستطع تهدئته بالمرة. وبالرغم من كل ما حدث لم يحكِ لها يحيى عندما عاد من المدرسة أي شيء مما حدث، ما زاد ألمها وهي ترى أثر الجرح الغائر الدامي الذي سببه والدهما، وضربهما في مقتل وهو حتى لا يشعر أو يعترف بأي أذى ألحقه بهما.

طالما استوقفت أغنية هشام عباس لابنه "طول ما انت بخير" يحيى أمامها، "إزاي بابا بخير وإحنا مش بخير يا ماما؟ إزاي هو كويس ومش بيشوفنا بنكبر قدامه وهو عارف إن هو شخصيًا سبب ضعفنا وزعلنا؟ إزاي مش حاسس بقيمتنا زي أحمد مكي ما حاسس بقيمة أولاده في أغنيته "أغلى من الياقوت" رغم إننا حاسين

بقيمتـة في حياتنـا وكسرتنـا بَعـده في بُعـده، رغـم إنـه عايـش معانـا في نفـس البلـد؟ أنـا نفـسي يعلمنـي إزاي أعـرف أحلـق دقنـي لمـا أكـبر، ويقـول لي حاجـات الرجالـة زي صحـابي، مـين هيعلمنـي يـا ماما؟ إنتي مينفعش تعلميني الحاجات دي، المفروض بابا اللي يعلمهالي". تضمـه لتقاسـمه الألم وتشـاركة الهـم، وتغـرورق عيناهـا بالدمـوع عـلى تنصـل والدهمـا مـن مسؤلياتهما النفسـية والمعنويـة قبـل الماديـة، حتـى في الفضـاء الإلكـتروني. لا يوجـد أي مـرار أكثـر مـن هـذا تقاسيه حـور مـع يحيـى ويزيـد.

تنظـر ليحيـى النائـم المُتكـوِّم حـول نفسـه، وكل ملامـح الحـزن متجسـدة عـلى وجهـه وهـي تحـدث نفسـها.

واحسرتاه على وجهٍ منيرٍ متكلف البسمة كالقمر

يخفي ظلامًا دامسًا حوى الأنين مع الألم

كالطفل في أحشاء أمه يغفو دون ظنٍ في الفرج

مُناه شمس وضياء وبصيص من أمل

ياا للعجب!! ماذا دهاه؟ ماذا حدث؟

أيعود يحلم بالرحم؟

نعم يعود يحلم بالرحم..

سُرق الأمان مع الأماني والزمن

لا تبكِ يا صغيري، يوم الفصل يعود الحق مجددًا

هناك لا حزن يدوم ولا شجن.

وضعت حور خطة لتوصل ليحيى الرسائل بشكلٍ غير مباشر، لتحل الأزمة بينه وبين نفسه، وهي تتمني أن تجتاز بهما هذه المرحلة الدقيقة بسلام.

هما وحنفي هدفها الأول في هذه الفترة المهمة من حياتها، ومهمتها تتلخص في العبور بهم لبر الأمان.

نجاح

بعد مرور قرابة الشهرين على دخول حنفي المستشفى، والتحسن الواضح في حالته وارتباطه بحور، وسؤاله عنها في اليوم الذي لا تذهب فيه للعمل، استيقظت حور على مكالمة من المستشفى تطلبها للقدوم بسرعة بالغة، لمرور حنفي بحالة انهيار كاملة فجائية.

تحركت حور على إثرها فورًا لمتابعته، لتفاجأ بمنظره وحالته المزرية. "ما لك يا حنفي؟ حصل إيه؟"، يرد عليها وبالكاد تستطيع فهم ما يقول: "حلمت بيه.. حلمت بيه إمبارح، أول مرة أشوفه من ساعة اللي حصل. أنا مش قادر أسامح نفسي على اللي حصل، ولا قادر أستحمل". هنا قررت حور استغلال مقدرته على الحديث عن الحادث أخيرًا، والذي تنتظر حدوثه منذ مدة في البدء بعلاجه مباشرة، بخطة العلاج التي جهزتها من فترة في انتظار اللحظة المناسبة، عن طريق تقنيات التحرر من الصدمات بالعلاج الشعوري وبدء مرحلة جديدة مؤثرة في العلاج.

سمَّت الله في قلبها واستعانت به وطلبت منه التوفيق والسداد،

وبدأت تسأل حنفي: "قول لي يا حنفي.. عايز تخف وتبقى أفضل؟"، أجابها: "أيوة عايز أرجع تاني كويس وألحق أربي ابني واللي لسه جاي في علم الغيب، عايز أقدر أعيش، أنا عايش ميت".

"حنفي.. إنت عارف إن أهم خطوة في العلاج إنك فعلًا تبقى عايز تخف، وتنوي بجد وتحاول وتاخد بالأسباب، وتواجه الألم اللي ممكن يحصل، عشان توصل إنك تعديه وتبقى أحسن، وبكدا إنت حققت أول شرط بنجاح. مستعد تكمل وتستحمل شوية كمان؟". يهز برأسه أن "نعم". "قول لي إيه أكتر لحظة عاملالك وجع وصدمة وهلع وحزن في الحادثة كلها؟ إيه أكتر لحظة صعبة ومعلقة في دماغك ومش بتروح منها للحادثة وشايفها ليل ونهار؟"، شُدِه لسؤالها وترقرقت الدموع في عينيه وهو يرتجف ولا يجاوب. "عارفة إن الموضوع كله صعب ومميت ولا يحتمل، بس إنت قررت تتخطى الألم، وأنا هنا عشان أساعدك نعديه مع بعض، وواثقة إنك تقدر، إيه رأيك؟"، أجابها دون صوت وبدموعٍ سخية بموافقته بإيماءة متخشبة من رأسه. أعادت عليه السؤال وطالت فترة سكوته، ثم تنهد وخرج صوته متحشرجًا بعد برهة وهو يجاوبها: "ساعة ما بصيت عليه على الأرض وشفته تحت العجل يا ولداه، ومعرفتلهوش معالم مفروم يا ضنايا ومعجون في هدومه ولازق في الأرض، قتلت ابني بإيدي.. قتلته بإيدي". تنهدت بحرقة، هكذا رأى ابنه رؤيا

العين، وهكذا ترى ولديها بعين القلب والإحساس، ولكن مقتلهما لا يراه إلا من له قلب مبصر وبصيرة تنير له الطريق. ثم عادت فسألته: "شايف الصورة كويس واضحة المعالم والألوان؟"، سالت دموعه تجاوبها بالتأكيد، نعم، وهل منظر مثل هذا أستطيع نسيانه؟ أراه بألوانه ومعالمه ورائحته وأحس به وبأفاعيله بروحي وجسدي. طلبت منه إغلاق عينيه ثم الهدوء والتنفس بعمق والاستكانة لبضع لحظات وبدأت في التقنية الأولى التي تحتاج الوقوف والحركة في منتصف الغرفة وحوله مساحة فارغة من الأثاث. بدأت بتقنية قوية لتحرر جزءًا كبيرًا من مشاعره السلبية، ثم أتبعتها مباشرة بالتكنيك الثاني فورًا وهي تطلب منه الاسترخاء تمامًا على المقعد والشعور بجسده كأنه منهك تمامًا، وأن كل عضلاته وأعضائه من قمة رأسه لإخمص قدميه في قمة الاسترخاء والهدوء والسكينة، والتركيز مجددًا على الصورة مرة أخرى، والتي باتت باهتة الألوان وأقل وضوحًا ومشوَّشة بعد انتهائها من التكنيك الأول، ما يدل على بداية التحرر من الصدمة.

أخذَت نفسًا عميقًا للغاية وزفرته بكل هدوء وهي تطلب منه أن يقوم بمثل ما تفعل، وأعادت ذلك ثلاث مرات، إلى أن سكن تمامًا وهي تسأله: "أثناء ما إنت شايف الصورة لابنك وهو مفروم تحت العجل حاسس بإيه؟".

"إني مدبوح وعايز أقعد أصرخ وصوتي مش طالع خالص"

"أثناء ما إنت حاسس إنك مدبوح وعايز تصرخ وصوتك مش طالع بتفكر في إيه؟"

"بفكر إني مستحقش أعيش وهو يموت، كان هو كمل وأنا اللي رحت"

وهكذا أخذت حور تقود الحوار، وتتابع الاسترسال وهو يجيب، وتكمل معه تقنيات التحرر من الصدمة على مدار ساعتين كاملتين من الأسئلة وإجاباتها المؤلمة، والشهقات والدموع والأنات، وما يتحرر معهما من مشاعر وأحاسيس، وتفريغ أفكار تابعة للصدمة المفزعة وما حدث وقت الحادثة، إلى أن بدأت الإجابات تصل إلى أنه في كنف الله ومعيته، ومحاولة تقبُّل ما مرَّ به. ساعتان كاملتان لمحاولة التسليم، لإدراك ما حدث وأن الأمر قَدَرٌ كان سيحدث به أو دونه، وأن موعد موته مقدر من قبل مولده أساسًا، وأن لا اختيارات في أقدارنا، وموعد وطريقة موتنا فكرة نعلمها ولكن لا ندركها ولا نستوعبها إلا بالكثير من الفزع حقيقة، خاصة عند تجربتها لأول مرة مع الأحباء والمقربين.

خرجت حور مرهقة للغاية، محمَّلة بمشاعر حزن عميقة وقوة عجيبة وإصرار على المُضيِّ قدمًا لتخلصه من ألمه. "كل دي أحاسيس

شايلها وهو مش قاصد قتله؟ إزاي في آباء بيسيبوا أولادهم ويقتلوهم ويدفنوهم أحياء ومش بيحسوا وهما قاصدين! عشان ولادهم منزفوش دم وادفنوا فعليًا؟ فين مشاعرهم وأُبوتهم؟ فين إنسانيتهم؟ ليه يحرموهم حقهم الطبيعي في أبسط حق في الحياة.. مجرد إنهم يبقوا موجودين؟".

على مدار الجلسات والتقنيات المختلفة للتحرر من الصدمات، ومع تقنية العلاج عبر الزمن، أصبح الأمر أخف وطأة على حنفي وحور، بتحرر المشاعر مرة بعد مرة، والوصول لأعماق النفس والتبحر في أحاسيسها. أصبحت ردود الفعل أثناء الجلسات وبعدها أفضل وأفضل، تنسج حور بفضل الله قطعة فنية بثبات ويقين وثقة وجلَد، لتنتزع انتزاعًا السكون والسلام من رحم الألم والمعاناة، وتُخرج النور من قلب الظلام، والطمأنينة والأمل من الفزع والخوف، والأمان من الذعر، والحياة من أنياب الخراب والدمار والموت. بخشوع ونيّة تعمل بكل إتقان، فترسم لوحة مذهلة تتداخل فيها المشاعر، لتُظهر الماضي ولتظهر بكل إصرار أسمى معاني الهدوء والرضا بالحال، وإدراك الخير في كل الأحوال، وانتهاج سياسة الترك لما مضى وانقضى من أحداث وراءنا، فللترك قوة لا يستهان بها لتسير الحياة بكل سلاسة وبساطة، فلا معنى لحمل كل تبعات الحياة فوق ظهورنا طوال الوقت لتمضي الحياة بهموم أقل،

ليعـمَّ التفـاؤل في النفـس والوجـدان، ويكـبر الأمـل في التعـافي والشـفاء مـع الوقـت بـكل يـسر وسـهولة. ويأخـذ حنفـي في التحسـن الواضـح، ويقبـل شـيئًا فشـيئًا مـا حـدث، وأخـذ طريـق الشـفاء بـكل هـدوء مـع مُـضيِّ الوقـت.

بعـد مـرور قرابـة الثلاثـة أشـهر عـلى بـدء العـلاج، طلـب حنفـي مـن حـور مقابلـة يحيـى ويزيـد، وبالفعـل أخذتهـا حـور معهـا للمستشـفى للمـرة الثانيـة. كان لقـاءً محمَّـلًا بمشـاعر العطـاء مـن كل الأطـراف، واسـتفاد منـه الجميـع للغايـة عـلى المسـتوى النفـسي. لقـاءٌ دعـمَ يحيـى ويزيـد بمشـاعر أبـوة صادقـة غمرتهـا وأسـعدتها، ودعـمَ حنفـي بحـب صـادق، وأشـعره بمسـؤليته أمـام يحيـى ويزيـد، وأن أمامـه فرصـة ذهبيـة ليحـاول بـدوره تعويـض أبنائـه وأبنـاء حـور عـما حـدث، مـا كان لـه عظيـم الأثـر والحافـز عـلى تخطيـة الألم لمحاولـة تلبيـة احتيـاج الغـير، كـما فعلـت معـه حـور.

بعـد بضعـة أيـام، خـرج حنفـي مـن المستشـفى بعـد التماثـل النسـبي للشـفاء، والتـوازن النفـسي بعـد العـلاج، وانحسـار موجـة الاكتئـاب التـي كانـت تحـاصره، وعودتـه للتفاعـل مـع مـن حولـه، والتقبـل والتسـليم بـما حـدث، مـع المتابعـة المسـتمرة مـع الطبيـب النفـسي وحـور واسـتمراره عـلى الـدواء وزيارتـه الدائمـة لحـور في المستشـفى مـع زوجته وطفلتـه الوليـدة أمـل.

حياة

مرت الأيام وأتى فصل الصيف، وانخرطت حور في التحضير لرسالة الماجستير فقاربت على الاكتمال، وتم تحديد موعد المناقشة ولكن الصيف يعني سفرية العام المنتظرة مع سما وشهد وزوجيهما وباقي أصدقاء العمر الأعزاء منذ أيام الجامعة. لا بأس من بعض الترفيه وقضاء بضعة أيام في المصيف معهم ككل عام، الموعد الذي لا يخلفه الجميع مهما كانت الظروف والأعباء.

تم تأجير ثلاثة شاليهات متجاورة، ونزل بها الجميع لقضاء إجازة منوط بها إعادة شحنهم لمواصلة الحياة بقوة ونشاط مرة أخرى.

في اليوم التالي جاء فارس، أحد أصدقاء ياسر زوج سما، لمقابلة صديقة عندما عرف مصادفة عن طريق الفيس بوك أنه متواجد بنفس القرية السياحية، وقضى اليوم معهم بعد أن تعرف على الجمع الغفير من أصدقاء وأقارب.

كنسيم الربيع الرقيق تمضي الساعات مع النغمات، تستمتع حور

بصحبة الأحباب ويحيى ويزيد، وتحاول في نفس الوقت الاختلاء بنفسها قليلًا للانتهاء من مراجعة رسالتها. تجلس أمام موج البحر، تتحدث معه وتشاركه الأمنيات والأسرار، ثم تلتفت لعملها مرة أخرى. عندها قاطعها صوت دافئ: "حد ييجي يشتغل على البحر برضو؟ إحنا بنسيب الدنيا كلها ورانا عشان نرتاح لنا يومين". التفتت حور لتجد فارس أمامها فأجابته: "هعمل إيه؟ لازم أخلص بسرعة. معاد تسليم الرسالة قرب أوي، وبعدين أنا مستمتعة جدًا باللي بعمله، شغلي اللي بحبه وقدام البحر ومعايا قهوتي صاحبتي، وكاظم الساهر بيغني، ناقصني إيه بقى؟". ابتسم وأجابها: "أكيد ولا حاجة.. عندك حق، بس حاولي ترتاحي شوية. قولي لي بقى رسالتك عن إيه؟"

"رسالتي عن تجاوز الصدمات"

تعجب فارس وهو يقول: "يااااه الصدمات مرة واحدة! الموضوع شكله كبير، خير يا تري احكيلي"

"أبدًا، أنا حبيت أساعد الناس يعدوا صدماتهم، زي ما عديتها أنا والولاد"

سألها: "ما شاء الله عليكم، انتوا عديتوا بصدمات أصلًا؟ ولا يبان عليكم خالص، قولي لي إزاي؟"

لم تستفض حور في الحديث وشعر فارس بذلك فلم يضغط عليها، ولكنه طلب منها بذكاء أن تشرح له محاور رسالتها والحالات التي تعالجها، فانطلقت حور في شرح الحالات، وخاصة حالة حنفي وما آلت إليه حاله وتحسنه الملحوظ بفضل الله بعد العلاج، وارتباطه بيحيى ويزيد، وارتباطهما به. تأثر فارس للغاية بقصة حنفي وطلب من حور أن يحضر مناقشة رسالة الماجستير وأن يتعرف على حنفي ويدعمه بطريقة غير مباشرة في العلاج على قدر المستطاع. وعرض عليها المساعدة في أي مراجع أو أبحاث تحتاجها، فهو يهوى علم النفس ويعمل بمكتبة الإسكندرية، ويمكنه ببساطة الحصول على أي مصادر مهما كانت نادرة. وقبل أن يتركها كرر طلبه أن تحاول أخذ استراحة وتمضية الوقت بالاسترخاء، ومشاركة الصحبة الجميلة الوقت الممتع وجو الإجازة. شكرته لاهتمامه، وقام ليلعب الكرة مع يحيى ويزيد وباقي الأصدقاء، لتعود الضحكات لتجلجل من جديد.

وهكذا قضى فارس معهم باقي أيام الإجازة، يفارقهم آخر الليل ليقابلهم مرة أخرى على الإفطار صباح اليوم التالي، وحور سعيدة باختفاء الأولاد ليل نهار مع فارس. تحس في الأجواء بانتشار رائحة الفرح والبهجة والحبور، إحساس غادرها منذ زمن، ولكنه عاد ليداعب مشاعرها على حين غرَّة مرة أخرى، وباغتها بوجوده داخلها وهي التي ظنت أنه قد ولَّى عهد هذه الأحاسيس.

كانت إجازة رائعة، أخذت منها حور الطاقة لتكمل الفترة المقبلة بكل قوة وجدية، قبل مناقشتها المرتقبة.

بعد عودتهم من الإجازة، غمرهم اهتمام فارس بعذوبة ورقة، من مكالمات لحور وليحيى ويزيد ليطمئن عليهم وعلى سير العمل في الرسالة المنتظرة، وليقابل الولدين ويخرج معهما لتتمكن حور من التفرع لعملها واتقانه دون ضغوط أو تشتت.

في صبيحة أحد الأيام هاتف فارس حور ليخبرها بمفاجأة سارة أعدها لها، لقد حجز مقعدين في أول صف لمحاضرة مهمة للدكتور محمد طه في مكتبة الإسكندرية، وهو يعلم تمام العلم بمدى أهمية تلك المحاضرة لحور، وعن أمنيتها حضورها، ولكنها لم تجد مكانًا شاغرًا لتتمكن من الحضور. لم تستطع حور التعبيرلفارس عن عميق امتنانها وشكرها لجميل صنعه الذي أسعدها للغاية. بعد أن أغلقت الهاتف أخذت تضحك وتقفز من الفرحة، ستحضر المحاضرة التي تتمني حضورها، وفارس من حجز لها مكانها وسيحضر معها.

بعد المحاضرة أصر فارس على دعوتها على فنجان من القهوة بالمكتبة، واستغلت حور الفرصة لشكره على دعوته لها لحضور هذه المحاضرة القيمة، لتفاجأ به يبادرها:

"أنا اللي عايز أشكرك إني لقيتك إنتي ويحيى ويزيد، كنت

متخيل خلاص مش هلاقي اللي بدور عليه من ساعة ما انفصلت عن زوجتي من خمس سنين بعد ما ابننا مات، وبعدها أصرت على الطلاق ورفضت تمامًا تكمل معايا، وقلت إني هكمل عمري لوحدي، وكأني قابلتك عشان ربنا يعوض عليّا بيكي وبولدين زي الفل بدل ابني الغالي اللي راح مني". ثم يبتسم وهو يفتح علبة مجوهرات تحتوي على خاتم من الألماس ويقدمه لحور وهو يكمل كلامه: "ينفع تاخديني ضمن الحالات اللي بتعالجيها؟ وصدقيني أنا مُصر إني أخف وأبقى زي الفل بسرعة، يعني مش هتعبك في العلاج خالص". ابتسمت حور بخجل ليستطرد فارس في الكلام: "أنا عارف إني فاجئتك، وإنك تعبتي كتير عشان تقفي على رجلك تاني وتعتمدي على نفسك، وتربي يحيى ويزيد رجالة يشرفوا، بس صدقيني إحنا الأربعة محتاجين بعض أوي، حياتنا هتبقى أحلى، وهنحاول نسعد بعض على قد ما نقدر ونتجنب الغلطات اللي فاتت. تعالي نجرب معندناش حاجة نخسرها، وأوعدك هصون النعمة وهعمل اللي أقدر عليه عشان أسعدكم وأعوضكم وأحافظ عليكم"، ثم غمز بعينه وهو يستطرد: "على فكرة أنا أخدت الموافقة الأول من يحيى ويزيد، واتفقت معاهم أول سفرية لنا إحنا الأربعة هتكون للسعودية نعمل عُمرة سوا، نشكر فيها ربنا إننا لقينا بعض"، وأتبع كلامه بوضع تذاكر الطيران في يد حور.

سعيدة هي حور؛ فارس ينطق بما يخفق به قلبها. انتبهت لوهلة، يا إلهي.. أتقول قلبها! أعادت هذه الكلمة مجددًا لقاموس حياتها؟ نعم، ما زال ينبض في مكانه، كانت تظن أنه رحل وتركها لتعيش دونه، بعد أن انطفأت شعلته وخبت، ولكن الله أنار قلبها مرة أخرى بوهج الحب، كأنه لم يذقه من قبل. أدركت أنها على قيد الحياة، وأن مشاعرها التي أخمدتها بيدها أشعلها فارس بوجوده بجانبها وبعرضه الزواج منها.

دقَّت النضارة والحيوية وجهها، وأزهرت وأينعت ملامحها عندما روت المودة والاهتمام أيامها، وذابت كتل الجليد التي غطت قسماتها فَلاَنَتْ، وفاحت الابتسامة منها، وعاد محرك القلب للعمل مرة أخرى بعد سنوات من التوقف، لينير أوقاتها ويبعث فيها الدفء والود والراحة ويبثها الأمان والاطمئنان والأمل.

يحيى ويزيد أكثر فرحة من حور وفارس، يعدَّان الأيام لتقرِّب البعيد وتزيد الوصل والقرب.

تؤمن حور أن الرزق بكل أنواعه موجود بوفرة، فيملأ الكون وبأكثر مما نظن، ولكن نظرتنا القاصرة تحرمنا وجوده، بظننا أنه محدَّدٌ ومُقنَّنٌ وغير متوفر. ولكن بمجرد تغيير طريقة التفكير والثقة بوجوده سيظهر في طريق سعينا في الحياة، وأن ما فقدناه سنجد البديل عنه، ويالعجب أفضل بكثير منه. ها قد أتى

الفارس الذي سيضمد الجرح ويرتقه ويزيل الندبات ويحتوي الألم، الطبيب الفارس الذي داوى حور ويحيى ويزيد بالاهتمام والصدق والإخلاص. داواهم بأفعاله مع أقواله، وبوجوده الدائم حتى أثناء انشغاله، فعاد هاتفها يضج بالرسائل وعادت وريقات الورود الحمراء تغزو أيامها، وتمت عملية التجميل بنجاح.

***

تملأ البهجة والفرحة الأجواء في حفل الزفاف، مع تزايد إيقاع النغمات الساحرة، ودقات الطبول المنتظمة التي تقرع على دقات القلوب المتسارعة، لتُحلِّق عاليًا على بساط الريح، أثناء نزول العروسين للدرج، مصمم السيارات العبقري المهندس يحيى وبيده عروسه الجميلة يظهر عليهما ملامح الحبور والفرحة الطاغية. ينتظرهما المبرمج الفذ المهندس يزيد، بجانبه خطيبته الحسناء، والدكتورة حور التي تبتسم بسعادة بالغة استنار بها مُحيَّاها، يكاد قلبها يقفز من بين أضلعها من فرط تأثرها لبلوغ هذه اللحظة التي تجلى فيها عوض الله، ونجاحها بتفوق على المستوي الشخصي والعملي. لا يوجد حقيقة أروع من أن تترك أمنياتك ودعواتك أمانة عند الله، وتنساها بعد أن توكله بها، ولكن وكيلك لن ينسى، فتتفاجأ بتحققها تباعًا ولو بعد حين، فدومًا بداية الغيث قطرة.

تفيق من شرودها على صوت ناعم رقيق: "مامتي بصي مين واقف هناك"، وهي تشير بيدها إلى باب القاعة البعيد. تلتفت لتجد ضياء فتلتقي الأعين والنظرات، ينظر بحسرة لما ضيعه من سعادة، بما جناه واقترفته يداه، فكما أضاع حياته الأولى أضاع الله حياته بعد ذلك فخسر كل شيء، لا يجرؤ حتى على الدخول والوقوف بجانب ابنيه والفرح بهما ومعهما، رغم أنها وجهت له دعوة رسمية لحضور حفل الزفاف. تشيح بوجهها وهي تتنهد براحة، وتُقبل ابنتها وغاليتها نور، بينما يربِّت زوجها الحبيب فارس على كتفها الذي تحمَّل الكثير والكثير حتى جاء فارسها، فتحمَّل معها المسئولية وشاركها الأعباء وتربية الأبناء.

تتصاعد دقات قلبها مع قُبلة حانية وضعها على جبينها وهي ترى نفسها منذ خمسة عشر عامًا أثناء مناقشة رسالة الماجستير، وكيف كانت مناقشة استثنائية وحفلة حقيقية، قاعة الاحتفالات بالجامعة تم تزيينها بالكامل ببالونات الهيليم المبهجة التي طالما أحبتها، والورود الملونة التي تعشقها، ووُضعت لوحة "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير" أمام باب القاعة من الخارج، ويحيى ويزيد في استقبال المدعوين يوزعان الحلوى والعصائر، والجميع يتسابق ليهنئ حور على تألقها في المناقشة، ومنحها الدرجة العلمية بامتياز مع مرتبة الشرف وعقد قِرانها بفارس في آن واحد.

طفرت الدموع من عينيها أثناء عقد القِران وتلاوة المأذون للعهد والوعد، وترديد فارس وحور وراءه الكلمات السحرية التي ستجمعهما لنهاية العمر معًا. همست شهد بابتسامة حب وقُبلة: "خلي بالك لسة الصور، اتصوري الأول وبعدين اعملي اللي انتي عايزاه"، احتضنتها حور، وضجت القاعة بالزغاريد الممزوجة ببكاء الفرحة والسعادة، والزمن يلتقط الصور مع يحيى ويزيد لأجمل الأيام.

كان الحب يشعُّ من المكان، وضوء الشمس يتألق خارج القاعة، يشهد مع الحاضرين من أهل وأحباء على ولادة الحياة من جديد، ليحين الدور مرة أخرى على أربعة حروف، تؤسس بيتًا وحياة، ودنيا جديدة تبدأ بالإخلاص والوفاء، كركنٍ أكيد لنهاية العمر المديد.

البداية

لمتابعة المؤلفة والتواصل معها عبر حساب فيس بوك:

❋ Somaya Saad Dwaidar

الصفحة الرسمية على فيس بوك:

سمية سعد دويدار

أربعة حروف

الحكاية كلها أربع حروف..

الفرق شاسع في المعاني.. وفي الظروف

من حلم وردي، فجأة يتحوِّل كابوس

هيَّ دي حكاية الأربع حروف

حدوتة تاخدك.. تقرَّب فجر وحلم جميل

تيجي حروف تانية وتلغيه.. تحرقه تكويه

بكل قساوة وفُجر وظُلم..

والحدوتة تكمل بينا لآخر العُمر